

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي حديث و معاصر
رمز المذكرة: 73/017/ أع
الموضوع:

دلالة المكان في رواية (ذاكرة الجسد)
ل: " أحلام مستغانمي "

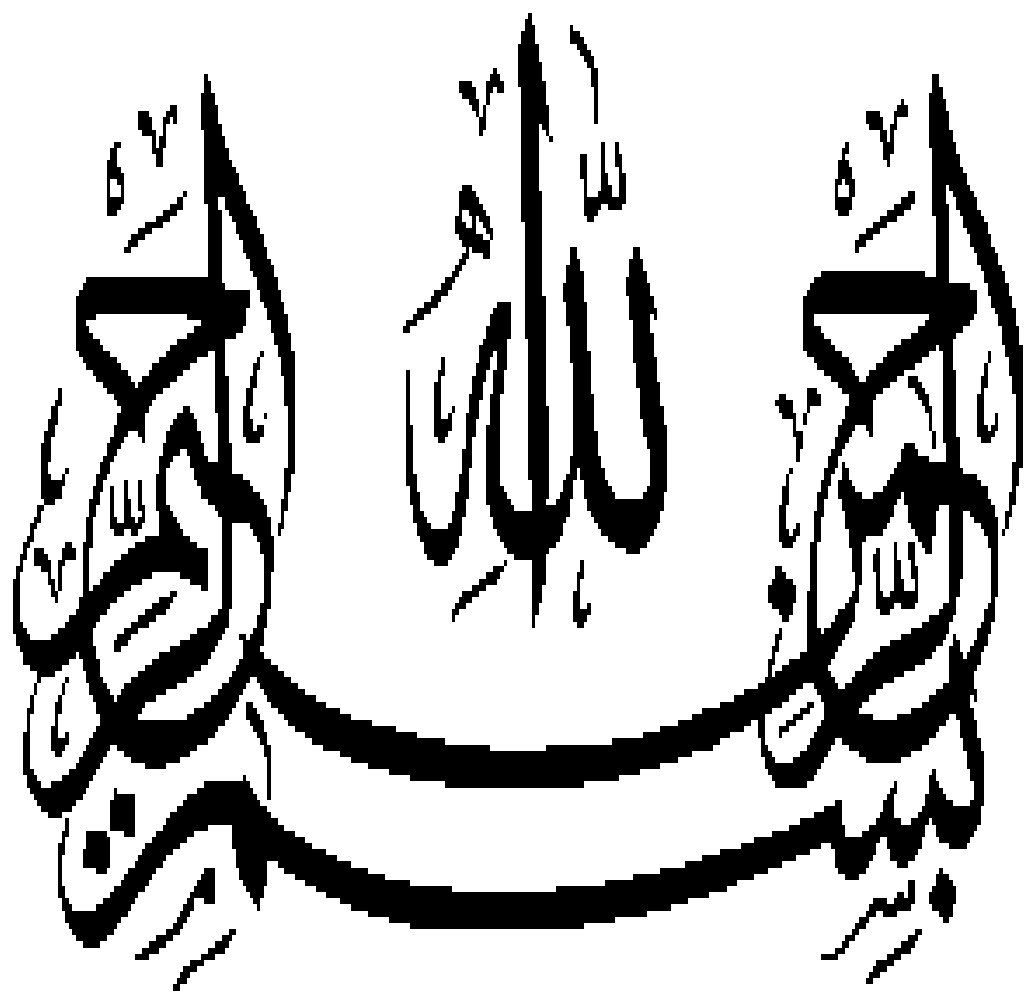
إشراف:
الأستاذ محمد زمري

إعداد الطالب (ة):
سيدي يخلف يمينة

لجنة المناقشة

رئيسا	د. أستاذ التعليم العالي	طرشي سيدي محمد
ممتحنا	د. أستاذ التعليم العالي	شريف بن موسى عبد القادر
مشرفا مقررا	د. أستاذ التعليم العالي	محمد زمري

العام الجامعي 1439/1437 هـ 2018/2017 م



إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد

إلى من كانا قدوتني في الصبر و العمل

و إلى من زرعنا الطموح في حقلتي فكري

"والدي الكريمين"

و إلى من دعمني و كان مثلي الأعلى

"زوجي الغالي"

إلى إخوتي "أحمد نور الدين زينب و إبراهيم"

و إلى برعمي الصغير

ابني "محمد نذير"

و إلى كل أفراد عائلتي سيدي يخلوف وليد و بورطال

كما اهدي هذا العمل إلى كل من علمنا و أوصانا بالعلم

راجين المولى عز و جل القبول و التوفيق إن شاء الله

بمينة سيدي يخلوف

شكر و عرفان

إنه لشرف كبير أن أتقدم بخالص الشكر إلى أستاذي
الفاضل "زمري محمد"، الذي كان له الفضل الكبير في
إعدادي هذا العمل المتواضع بملاحظاته و تعليماته القيمة.
كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة
المناقشة، الذي تكرموا بقراءة هذا البحث.

ولا انسي أن أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتي الكرام
بجامعة أبو بكر بلقايد

و أتمنى أن يكون هذا البحث شعلة مضيئة تنير درب كل
طالب علم

يمينة سيدي يخلف

مقدمة

لقد احتلت الرواية مكانة بارزة في العالم العربي ، فقد اهتمت بالقضايا الاجتماعية ، و السياسية ، و الثقافية ، و هي أكبر الأجناس القصصية من حيث حجمها و شخصياتها و أحداثها ، و الرواية من أحسن الفنون الأدبية التي اهتمت بجانب المكان ، و كان العنصر الأساسي في تشكيل النصوص في الأعمال الفنية ، فكل رواية من الروايات نجدها غنية بالممكنة ، فكل مكان أهمية في النص الروائي ، و من هذا ينبغي معرفة بأن قيمة النص تكمن في حيوية المكان و تعدده فكلما تعددت الممكنة تنوعت الأحداث في الرواية .

فقد أضافت تلك الممكنة بعدا جماليا للنص الروائي الجزائري ، ذلك الذي جعلني اختار بحثي المعنون "بدلالة المكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي " ، فقد تنوعت الممكنة في هذه الرواية ، و سجلت أحداثا تاريخية كثيرة ، أهمها الثورة الجزائرية و لم تنحصر في حيز مكاني واحد ، بل كانت متفرقة في أماكن كثيرة من التراب الوطني ، هي راسخة في القلب و الذاكرة لا يمكن نسيانها أو تجاهلها .

وكتب الروائيون الجزائريون في فترة ما بعد الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي، و عن الحياة القاسية و الأليمة التي كان يعيشها الشعب الجزائري.

و من الروائيين الذين أبدعوا في هذا المجال ، الروائية أحلام مستغانمي ، فقد كانت روايتها ذاكرة الجسد غنية بالممكنة التي صاحبها

أحداث كثيرة و مشوقة ، و قد وضعتها أنموذجا في بحثي ، فقد تحدثت عن الاستعمار الفرنسي و الثورة المجيدة ، و قد مزجت في روايتها بين عدة فترات و عدة أمكنة ، فكانت بذلك رواية متميزة و متنوعة .

أما عن أسباب اختياري للموضوع، فهي ترجع إلى أن:

- ذاكرة الجسد أثارت إعجابي لما اتصفت به من مزج بين اللغتين الفصحى و الدارجة، و موضوعها الشيق و الحزين في نفس الوقت.
- و السبب في اختياري الرواية دون الشعر، هو أن الرواية تكتسي طابعا قصصيا ممتعا و مفيدا في آن واحد و هذا ما وجدناه في ذاكرة الجسد، و أنا بطبعي مشدودة إلى الفن الروائي منذ بداية مسيرتي الدراسية.
- و بطبيعة الحال هذا الموضوع - مثل غيره من الموضوعات - يثير في نفس الباحث عدة تساؤلات، و منها:
- كيف وظفت أحلام مستغانمي المكان في روايتها ذاكرة الجسد ؟ و كيف استطاعت تصويره ؟
- و هل أعطته طابعا فلسفيا ذا مسحة جمالية أثرت الرد الروائي؟
- و لنجيب على هذه الأسئلة نتطرق إلى طبيعة الموضوع الذي توزع على مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة، فقد عرفت في المدخل الرواية و كيفية نشأتها و تطورها، و ذكرت من خلاله بعض الروائيين الذين أبدعوا في الرواية الجزائرية.

أما الفصل الأول فعنوانته " بمفهوم المكان و مصطلحاته " ثم تطرقت إلى العناصر التالية: تعريف المكان لغة و اصطلاحا و مفهوم الفضاء و تحدثت عن علاقة المكان بالرواية.

بينما الفصل الثاني فعنوانته ب "التعريف بالروائية أحلام مستغانمي و أهم أعمالها " و جاء فيه التعريف بالروائية و ذكرت مؤلفاتها و في الأخير وضعت تلخيصا للرواية .

أما عن الفصل الثالث و الأخير فعنوانته ب" المكان في رواية ذاكرة الجسد " و ضم ثلاثة مباحث إذ أنني تكلمت عن الأحداث و الشخصيات و علاقتها بالمكان.

و ينتهي بحثي بخاتمة تحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها. ثم قائمة للمصادر و المراجع ، و لا ننسى الإشارة إلى أن طبيعة البحث اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي .

و من المصادر و المراجع التي أفادتنى كثيرا في هذا البحث نذكر منها :

- زهرة ديك : أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت .
- ابن سائح الأخضر : جماليات المكان القسنطيني - قراءة في رواية ذاكرة الجسد -
- عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية .

- جوادي هنية : رسالة دكتوراه "صورة المكان و دلالاته في رواية
واسيني لعرج "

- فله قارة : رسالة ماستر " بناء الشخصية و المكان في رواية ذاكرة
الجسد " .

و كان من الطبيعي أن اعترضتني بعض الصعوبات ، قلة الدراسات
التي تناولت موضوع المكانية في الرواية .

و في الأخير أتوجه بالشكر إلى أستاذي الفاضل " زمري محمد " الذي
ساعدني كثيرا و لم يبخل على بتوجيهاته و معلوماته القيمة .

يوم الأحد 04 رمضان 1438

الموافق ل 20 ماي 2018م

ب : تلمسان

مذلل

عرفت البلاد العربية فن الرواية، و قد اتجه الكثير من الكتاب للتأليف في هذا الفن، فكان منهم من يتخذ المنحى الغرامي كأسلوب خاص به و منهم من ينحو المنحى الدرامي الحافل بالمفاجأة و الغرائب، و منهم كذلك من ينحو المنحى الوعظي الرامي إلى تهذيب الأخلاق.

و قد حاولنا من خلال هذه التوطئة التطرق إلى مفهوم الرواية لغة و اصطلاحاً باعتبار الرواية فن من الفنون الأدبية .

أ. الرواية لغة:

إذا تحدثنا عن مفهوم الرواية من الناحية اللغوية، فهي في لسان العرب لابن منظور: " من (روي)، قال ابن سيده في معتل الألف: رواوة موضع من قبل بلاد بني مزينة، و قال في معتل لياء: روي من الماء، بالكسر، و من اللبن يروي ريا و روي أيضا مثل روى و تروى و ارتوى كله بمعنى، و الرواية المزاد فيها الماء، و يسمى البعير راوية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه، قال لبيد:

فتولوا فاترا مشيهم

كرواية الطبع همت بالوحد

و يقال للضعيف الوادع: ما يرد الرواية أي انه يضعف عن ردها على ثقلها لما عليها من الماء . و الرواية: هو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، و الرجل المستقي كذلك راوية . و الروي: هو الحرف الذي تبني عليه القصيدة، و يلزم في كل بيت منها في موضع واحد"¹.

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مج14، بيروت، لبنان، ط1، ص349

الرواية في معجم المعاني الجامع هي: " من روى ، روى على البعير أي استقى ، و روى

الحاضرين أي استقى لهم الماء ، و روى الحكاية :حكاها ، و روى الأخبار :نقلها ،ذكرها و روى

الخبر عن مصدر موثوق ."¹

و تعريفها في المعجم الوسيط(روي) :

"رَوَى من الماء و نحوه ربا، و روى شرب و شبع .و يقال روي الشجر ،و روي النبت أي :تنعم

فهو ريان ، و هي ربا و ريانة ،و الجمع رواء ."²

و في المعجم الغني لعبد الغني أبو العزم :

"رَوَى(روي)، (فعل: رباعي. لازم ومتعدّد. مزيد بحرف)، رَوَيْتُ، أَرَوَيْ، رَوًّا، المصدر: تَرَوِيَةٌ .

1 " رَوَى الْفَلَّاحُ نَبَاتَ الْحُقُولِ " : سَقَاهَا.

2 "رَوَى عَطَشَهُ" : سَكَّنَ ظَمَأَهُ.

3 "رَوَى فِي الْمَوْضِعِ قَبْلَ أَنْ يُصْدِرَ قَرَارًا" : فَكَّرَ فِيهِ مَلِيًّا، نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْجِهَةِ تَفْكِيرًا

وَرَوِيَّةً.

4 "رَوَاهُ الشُّعْرَ" : حَمَلَهُ عَلَى رَوَاتِيهِ.

5 "رَوَى الْمُسَافِرُ" : تَزَوَّدَ بِالمَاءِ."³

و تعريفها في معجم الرائد لجران مسعود:

" روى يروي رواية:

¹ معجم المعاني الجامع www.almaany.com

² المعجم الوسيط-مجمع اللغة العربية بالقاهرة-صدر: 1379هـ/1960م www.almougem.com

³ الغني-عبد الغني أبو العزم-صدر: 1421هـ/2001م www.almougem.com

- روى الحديث: نقله.

- روى الشعر: حمله عن صاحبه وأنشده.

- روى الحبل: فتله.

- روى الرجل: شده ب«الرواء»، أي الحبل على الجمل¹.

أما في مختار الصحاح لأبي بكر الرازي :

"(الرَّوِيَّةُ) بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ الْأُنْثَى مِنَ الْوُعُولِ وَثَلَاثُ (رَأَوِيٍّ) عَلَى أَفَاعِيلٍ فَإِذَا كَثُرَتْ فِيهِ (الرَّوِي) عَلَى أَفْعَلٍ بِعَيْرِ قِيَاسٍ.

وَأَرَوَى أَيْضًا اسْمُ امْرَأَةٍ، وَ(الرَّيَّانُ) ضِدُّ الْعَطْشَانِ وَالْمَرْأَةُ رِيًّا، وَ(رِيَّانُ) اسْمُ جَبَلٍ بِيَلَادِ بَنِي عَامِرٍ. وَ(الرَّوِيَّةُ) التَّفَكُّرُ فِي الْأَمْرِ جَرَتْ فِي كَلَامِهِمْ غَيْرَ مَهْمُوزَةٍ.

وَ(رَوِي) مِنَ الْمَاءِ بِالْكَسْرِ (رَوَى) بِوَزْنِ رِيًّا وَ(رِيًّا) بِكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا وَ(رَتَوَى) وَ(تَرَوَى) كُلُّهُ بِمَعْنَى.

وَ(رَوَى) الْحَدِيثَ وَالشَّعْرَ يَرَوِي بِالْكَسْرِ (رَوَايَةً) فَهُوَ (رَاوٍ) فِي الشَّعْرِ وَالْمَاءِ وَالْحَدِيثِ مِنْ قَوْمِ رُوَاةٍ، وَ(رَوَاهُ) الشَّعْرَ (تَرَوِيَةً) وَ(أَرَوَاهُ) أَيْضًا حَمَلَهُ عَلَى رَوَايَتِهِ.

وَسُمِّيَ يَوْمَ (التَّرْوِيَةِ) لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْتَوُونَ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ لِمَا بَعْدَهُ، وَ(رَوَى) فِي الْأَمْرِ (تَرَوِيَةً) نَظَرَ فِيهِ وَفَكَرَ يُهْمَزُ وَلَا يُهْمَزُ.

وَتَقُولُ: أَنْشِدِ الْفَصِيذَةَ يَا هَذَا وَلَا تَقُلْ: ارْوَاهَا، إِلَّا أَنْ تَأْمُرَهُ بِرَوَايَتِهَا أَيْ بِاسْتِظْهَارِهَا. وَ(الرَّايَةُ) الْعِلْمُ.

وَ(الرَّوِيَّةُ) الْبَعِيرُ أَوْ الْبُغْلُ أَوْ الْحِمَارُ الَّذِي يُسْتَقَى عَلَيْهِ.

وَالْعَامَّةُ تُسَمِّي الْمَزَادَةَ رَاوِيَةً، وَهُوَ جَائِزٌ اسْتِعَارَةً، وَالْأَصْلُ مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَرَجُلٌ لَهُ (رُوَاءٌ) بِالضَّمِّ أَيْ مَنْظَرٌ، قُلْتُ: قَدْ ذَكَرَ الرُّوَاءَ فِي رَأْيٍ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ أَحَدِ الْفِ 2 صِلَيْنِ

¹ الرائد- جبران مسعود- صدر: 1384هـ/1965م www.almougem.com

ظَاهِرٌ لَا مِنْهُمَا.

وَرَجُلٌ (رَاوِيٌّ) لِلشَّعْرِ وَالْهَاءِ لِلْمُبَالَغَةِ. وَقَوْمٌ (رِوَاءٌ) مِنَ الْمَاءِ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ.

وَالرَّوِيُّ (الرَّوِيُّ) حَرْفُ الْقَافِيَةِ يُعَالُ: فَصِيدَتَانِ عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ.

وَالرَّوِيُّ أَيْضًا سَحَابَةٌ عَظِيمَةٌ الْقَطْرِ شَدِيدَةُ الْوَقْعِ مِثْلُ السَّقِيِّ، وَيُقَالُ: شَرِبَ شُرْبًا رَوِيًّا¹.

الرواية اصطلاحاً:

أما الرواية في مفهومها الاصطلاحي فهي "حكاية أو قصة نثرية طويلة ، تستمد الوقائع و الأحداث من المجتمع ، و هي من الفنون الأكثر انتشارا و شهرة من فنون الأدب النثري ، و من مميزات التشويق فكلمها زاد حجمها و طولها زاد معها التشويق لمعرفة المزيد ، و تعالج عدة قضايا سواء القضايا الأخلاقية أو الاجتماعية أو السياسية".² و" الرواية هي سرد نثري طويل يصف شخصيات خيالية أو واقعية وأحداثاً على شكل قصة متسلسلة²، كما أنها أكبر الأجناس القصصية من حيث الحجم وتعدد الشخصيات وتنوع الأحداث، وقد ظهرت في أوروبا بوصفها جنساً أدبياً مؤثراً في القرن الثامن عشر، والرواية حكاية تعتمد السرد بما فيه من وصف وحوار وصراع بين الشخصيات وما ينطوي عليه ذلك من تأزم وجدل وتغذية الأحداث"³.

و يعرفها عبد المالك مرتاض : " إن الرواية تشترك مع الملحمة في طائفة من الخصائص، وذلك من حيث إنها تسرد أحداثاً تسعى لأن تمثل الحقيقة، وتعكس مواقف الإنسان، وتجسّد ما في العالم، أو تجسّد من شيء مما فيه على الأقل ، ذلك لان الرواية تتميز عن الملحمة بكون الأخيرة شعراً ، و تلك تتخذ لها اللغة النثرية تعبيراً"⁴.

¹ مختار الصحاح- محمد بن أبي بكر الرازي- توفي: 666هـ/1268م www.almougem.com

² ويكيبيديا الموسوعة الحرة (الرواية) <https://ar.wikipedia.org/wiki>

³ نفس المصدر .

⁴ د عبد المالك مرتاض - في نظرية الرواية - عالم المعرفة - شعبان 1998 - ص 159.

نشأتها:

و إذا رجعنا إلى نشأة الرواية العربية فنجد ظهورها يعود إلى الآداب الغربية ، و لا يعني ذلك أن الرواية ليس لها طابعا خاصا بها بالعكس فنحن إذا عدنا إلى تراثنا القديم نجد حافلا بالقصص الشعبية و المقامات و القصص الخرافية كذلك، و لكن احتكاك العرب بالغرب و قد ظهر الرواية العربية، " فنشأة الرواية العربية تعود إلى الاحتكاك والاتصال العربي بالعالم الغربي في أواخر القرن التاسع عشر، حيث برزت بداية المحاولات الروائية الأولى عند عودة الكتاب العرب من البلاد الأوروبية ومحاولتهم لكتابة وتأليف روايات مختلفة. ونذكر من هؤلاء فرح أنطوان، ونقولا حداد، وحسين هيكل خاصة في روايته المشهورة زينب"¹.

العناصر التي تقوم عليها الرواية:

عند قراءتنا للرواية نجد أنها تتكون من عدة عناصر و هي التي تبني عليها الرواية، و من أهم العناصر نذكر:

- **الشخصيات:** و هي أهم العناصر التي تقوم عليها الرواية، و لها دور كبير و مهم في بناء الرواية، فنجد أنها تتكون من كم هائل من الشخصيات و نجد أن لكل شخصية دورها في الرواية، كم أن هنالك شخصيات أساسية و شخصيات ثانوية.
 - **المكان و الزمان:** و لهما دور مهم في الرواية فهما يبينان للقارئ الزمن التي وقعت فيه الأحداث و موقعها كالبيت و البلد.
 - **"الحبكة:** تعرّف الحبكة على أنها النمط الذي تسري فيه أحداث الرواية وتنقسم إلى:
- حبكة الرواية النمطية: يسرد الروائي خلالها الأحداث بشكل متسلسل.

¹ سمر حسن سليمان – مفهوم الرواية – 20 مارس 2016 - <http://mawdoo3.com>

حبكة الرواية المركبة : يسرد الروائي أحداث الرواية بشكل عكسي، أي من النهاية ثم إلى البداية.¹

• "موضوع الرواية:

يجب أن يكون موضوع الرواية يحمل قيمة أخلاقية، يقدم الروائي خلال موضوع الرواية مجموعة من الحلول المقترحة للمشكلة التي يطرحها².

نلاحظ مما سبق أن الرواية هي نقل للأخبار عن طريق السرد ، و ذلك بإثراء موضوعات متنوعة ، متكونة من شخصيات و زمان و مكان .

نشأة الرواية الجزائرية:

تعتبر نشأة الرواية الجزائرية ذات علاقة وثيقة بنشأتها في الوطني العربي، "حيث لها جذور عربية و إسلامية مشتركة كصيغ القصص القرآني و السيرة النبوية و مقامات الهمداني و الحريري و الرسائل و الرحلات"³. و من الأسباب التي جعلت الرواية الجزائرية تتطور هي الظروف القاسية التي مرت بها الجزائر فهي كغيرها من الدول مرت بمرحلة الاستعمار ، و هذه المرحلة آدت بالكتاب إلى الإبداع و كتابة الروايات ، فقد تناولت رواياتهم الأوضاع الاجتماعية و السياسية للشعب الجزائري ، و كذلك كانت موضوعاتها تتحدث عن فترتين مرت بهما الجزائر فترة الاستعمار و فترة ما بعد الاستقلال و هي فترة العشرية السوداء ، "فلقد سايرت الرواية الجزائرية الواقع، و نقلت مختلف التغييرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير، ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية، خاصة الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي وهذا

¹ عناصر الرواية -8 فبراير 2018 - <http://weziwezi.com>

² عناصر الرواية -8 فبراير 2018 - <http://weziwezi.com>

² سمر حسن سليمان - مفهوم الرواية - 20 مارس 2016 - <http://mawdoo3.com>

ما نجده في عقد السبعينات، ودخلت الرواية في ما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة و نضال وانحزام، إذ انطلق الكاتب من الواقع الذي عاشه وعائشه في زمن الأزمة فاصطلح عليه ب "أدب الأزمة"¹.

فالرواية الجزائري نشأت معتمدة على الواقع الذي كان يعيشه الشعب الجزائري ، و في ظل تلك الواقعية و تلك الظروف التي عاشها الشعب قرر المبدعون الكتابة و إخراج كل ما عندهم من كلمات و أساليب تجسد هذا الواقع و من خلالها يستطيعون معالجة قضايا شعبهم الاجتماعية و السياسية.

و قد كانت نشأت الرواية الجزائرية مصحوبة ببروز عدة كاتبات ، و نذكر منهن الروائية أحلام مستغانمي التي أبدعت منذ بداية الثمانينات و صارت أكثر تألقا حين قدمت ثلاثيتها الشهيرة "ذاكرة الجسد، فوضى حواس ، عابر سرير " .

فإذا أخذنا ذاكرة الجسد فقد كان أكثر عمل اشتهرت به أحلام في الفترة الأخيرة ، " و قد اعتبرها عبد الله الغدامي في كتابه "المرأة و اللغة" أول امرأة عربية تعيد تأنيث اللغة و استعادة الذاكرة الأنثوية منذ ألف ليلة و ليلة و قد اختارتها مؤخرا مجلة فوريس الأمريكية من بين الشخصيات المؤثرة في الوطن العربي"².

فنحن عند قراءتنا لروايات أحلام مستغانمي نجدها و كأنها تبحث عن فضاء أكبر و أوسع تعبر به عن صرخاتها و ميولاتها و أحاسيسها الأنثوية . و ذاكرة الجسد رواية حملت في صفحاتها أمكنة عديدة جعلتها مميزة عن بقيتها من الروايات ، فأى رواية نجد فيها شيئا يميزها عن غيرها ، و لكن كلها تتميز بلغة نثرية واحدة .

¹ إدريس بوديبة- الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار- منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، طبعة 1، 2000م، ص 50-

51.

²زهرة ديك- هكذا تكلمت هكذا كتبت، " أحلام مستغانمي" ، دار الهدى ، ط 2013، ص 20.

نستنتج مما سبق أن الرواية هي بمثابة لوحة فنية يرسمها فنان، من خلالها نرى صورة المجتمع الثانية، فالرواية نلمس من خلالها العادات و التقاليد و اختلاف الأذواق و المعتقدات و الأنماط السلوكية و فيها يسم الكاتب الحقائق التي يعيشها المواطن.

الفصل الأول

1) تعريف المكان:

للإنسان علاقة وثيقة بالمكان فهو يمثل له الملجأ و الوسط الذي يعيش فيه و

يرتبط بنفسيته، فإذا ابتعد الإنسان عن مكانه الذي نشأ فيه يتأثر كثيرا و يجذب لو

يرجع إليه و لا يبتعد عنه، فما هو تعريف المكان؟

أ) المكان لغة :

"من مكن مكانة عند الأمير ،ارتفع و صار ذا منزلة ، و الشيء القوي و المتين فهو ماكن .مكن من

الشيء جعل له سلطانا و قدرة ، و أمكن الأمر فلانا و لفلان سهل عليه أو تيسر له فعله و قدره

عليه ،تمكن عند الأمير ، ارتفع و صار ذا منزلة ، استمكن من الأمر ، قدر عليه أو ظفر به ، المكنة

، القوة و الشدة .المكان ج أمكنة و أمكن يقال: هذا مكان هذا أي بدله، المكانة ج مكانات :

المنزلة و الرفعة الشأن ، يقال امش على مكانتك أي برزانه و وقار "1.

و قد عرّف المكان كذلك جمع من اللغويين فمنهم اللغوي أبو القاسم

الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني 502هـ:"المكان عند أهل اللغة

الموضوع الحاوي للشيء"، و قال اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي

صاحب القاموس، 817هـ ، ما نصه:"المكان الموضوع -ج أمكنة و أماكن "2.

¹ المنجد في اللغة و الأعلام- الطبعة المئوية الأولى-2008-دار المشرق بيروت لبنان-ص771.

² أبو مالك السني، النقول العلية في تنزيه الله عن الجهة و المكان و الكيفية WWW.azehera.net

jun 2012.

و قال العلامة كمال الدين احمد بن حسن البياض الحنفي

1098هـ: "المكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم"، و قال الشيخ يوسف بن

سعيد الصّفتي المالكي 1193 هـ: "قال أهل السنة المكان هو الفراغ الذي يحل

فيه الجسم" ¹، و قال الشيخ سلامة القضاعي: "المكان هو الموضع الذي يكون

فيه الجوهر على قدره و الجهة هي ذلك المكان" ².

أما في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : " **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم**

إنني محامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح

الظالمون ". و اعملوا على مكانتكم أي تمكنكم من هواكم و شهواتكم التي

أنتم عليها أو على ناحيتكم ، وجهتكم التي أنتم عليها من الكفر و الهوى ، و

المعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر و العداوة ، فالمكانة إما معنوية أو

حسية من المكان" ³.

¹ أبو مالك السني ، النقول العلية في تنزيه الله عن الجهة و المكان و الكيفية WWW.azehera.net

Jun2012

² المرجع نفسه.

³ المرجع نفسه .

هناك الكثير من الأحاديث عليها لفظ المكان : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "كان الله و لم يكن شئ معه" رواه البخاري و الحاكم ابن الجارود و البيهقي . و قال البيهقي في كتابه "الاعتقاد في بيان المعنى" هذا الحديث : " يدل على انه لم يكن شئ غيره لا الماء و لا العرش و لا غيرها " ¹.

ب) تعريف المكان اصطلاحيا:

أما تعريف المكان اصطلاحا فهو في نظر جاستون باشلار يرتبط بالصورة إذ "فمن الواضح من أن المكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة، و بيت الطفولة هو المكان الأليف الذي يحمل الألفة و نشعر فيه بتلك الجاذبية القوية و الرغبة الملحة و الشعور بالحماية و الدفء ، و ذلك لأنه يكتف الوجود في حدود تتسم بالحماية" ²

فالواحد منا إذا ابتعد قليلا عن بيته يشعر بالنقص ، و كان شئ ما ينقصه و يلزمه في حياته ، فهو يشعر بالأمان و الحماية " و هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي و تنهض به في كل عمل تخيلي" ³

، فالمكان له دور مهم و أساسي في أي عمل أدبي ، فهو يعتبر المحور الذي تسير عليه الأحداث خاصة في الرواية . و يضيف جاستون باشلار : " إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية فحسب ، بل هو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل

¹ المرجع نفسه.

² جاستون باشلار- جماليات المكان - ترجمة غالب هلسا - ط2 - ص6.

³ حسن الجراوي - بنية الشكل السردي - الفضاء الزمن الشخصية - المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب (ط2-2009-ص29).

موضوعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تميز إننا ننجذب نحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية في مجال الصور " ¹ .

وأول من اهتم بدراسة المكان هم الفرنسيون و ذلك في عهد الستينات و السبعينات و أبرز هؤلاء : " (جورجبولي ، و جليبر دوران و رولان برونوف) ، و كان أبرز من أسهم بفعاليته في لفت الانتباه لمصطلح المكان في بنية نسيج العمل الإبداعي هم الباحثون (يوري لوتمان و رروبير بيتش ، و هيرمان ميير) ، و من أبرز المؤلفين في دراسة المكان الروائي ، (هنري متران) و ذلك بإصداره كتاب (خطاب الرواية) عام 1980 ، كما يعد كتاب جاستون باشلار من أهم الكتب التي الفت في الموضوع " ² .

فالإنسان حين يتذكر مكانا ما أو يراه بعينه فهو يستخدم حواسه لمعرفته ، " المكان صورة أولية ترجع إلى قوة الحساسية الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس " ³ .

و قد شغلت قضية المكان اهتمام الفلاسفة كذلك كأفلاطون و أرسطو ، فالمكان في رأي أرسطو : " هو المكان الحاوي من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم الحاوي " ⁴ ، إن المكان حسب أرسطو هو شيء لا يمكن نكرانه لأنه موجود في حياتنا ما دمنا نتحرك فيه و نعطيه تسميات ، أما في رأي أفلاطون : " فهو الحاوي للموجودات المتكاثرة و محل التغيير و الحركة في العالم المحسوس ، عالم

¹ جاستون باشلار- جماليات المكان - ترجمة غالب هلسا - ط2 -ص31.

² طيب صالح - مفهوم المكان - دلالة المكان في رواية موسم الهجرة الى الشمال -ص140.

³ يوسف كرم - تاريخ الفلسفة الحديثة - ط5 القاهرة دار المعارف 1986 -ص277.

⁴ محمد عبد الرحمن - من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاجتماعية - ديوان المطبوعات - الجزائر ط1987-ص171.

الظواهر الحقيقي "1، فنستنتج من خلال ما قال أفلاطون أن للمكان علاقة بالكائنات الحية فإذا تغير الزمان و رحلت الكائنات يختفي المكان عن الوجود .

و اجمع كل من الكندي و الفارابي و إخوان الصفا إن المكان " هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم و ينفذ فيه أبعاده و يراد فهالحيز "2.

أمّا في مجال دراسة الرواية اهتم دارسوا الرواية بدراسة عنصر المكان، ممّا نتج عنه مجموعة من المصطلحات الخاصة بدراسة هذا العنصر، مثل المكان الروائي، و الفضاء الجغرافي، و الفضاء الدلالي. و يفضل بعض الدارسين مصطلح الفضاء الروائي عن المكان الروائي ، لأن الفضاء شامل و واسع المجال أما المكان فهو الموضوع أو الرقعة التي تجري فيها الأحداث فقط لا يتعدى ذلك ، فالفضاء مثل المسرح الروائي الذي تجري فيه الأحداث أما المكان فهو جزء من الكل .

2) تعريف الفضاء و وظائفه في الرواية :

أ) الفضاء لغة :

من المعاجم التي أسندت

¹ محمد علي عبد المعطي - قضايا الفلسفة العامة و مباحثها - دار المعرفة الجامعية الاسكندرية - ط2 -1984-ص 124.

² جميل صليبا - المعجم الفلسفي - بيروت لبنان - ط 1994- ص 112.

اليها لفضة فضاء معجم لسان العرب لابن منظور، و قد وردت على النحو التالي
 : "فضا، يفضو، فضوا، فاض، و قد فضا المكان و أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه و أصله انه
 صار في فرجته و فضائه و حيزه ، و الفضاء الساحة و ما استوي من الأرض و اتسع ، و جمعه
 أفضية ، و الفضاء المكان الواسع من الأرض ، و نقول مكان مفض ، أي واسع و نقول المفضي
 أي المتسع"¹.

و عرفه كثيرون و ذكر تعريفه في عدة كتب و مجالات نذكر منها مجلة كلية الآداب و كانت خالدة
 حسن الخضر صاحبة المقال إذ تقول عن الفضاء: " فيبدو لنا أن مصطلح الفضاء أكثر شمولاً و
 اتساعاً من مصطلح المكان ، فلفظة فضاء تشير إلى المكان الواسع الفارغ ، و هو ما اتسع من
 الأرض"².

ب) الفضاء اصطلاحاً:

يعرفه الدارسون بأنه " الفضاء الرحب الذي يحددنا و نحدده و يحيط بنا من كل جانب ، من فوقنا
 و من تحتنا و عن أيمننا و شمائلنا ، لا نهائي ، يؤدي دوراً ذا أهمية في عملية الفهم و التفسير
 باعتباره مكوناً من مكونات الخطاب الأدبي " ³ ، و قال غابريال مارسيل : "إن الإنسان غير
 منفصل عن فضائه بل أنه الفضاء نفسه"⁴.

¹ أبو الفضل جمال الدين – لسان العرب – المجلد 15 – ط 4-2005 – دار صادر للطباعة و النشر – بيروت لبنان – ص 157-158.

² خالدة حسن خضر – المكان في رواية الشماعية لعبد الستار ناصر – مجلة كلية الآداب العدد 102- ص 116.

³ عزوز اسماعيل – شعرية القضاء للروائي عند جمال الغيطاني – ط 2010- دار العين للنشر القاهرة – مصر – ص 40-41.

⁴ محمد علي عوض – آراء و مدونات – الفضاء الروائي.. مفاهيم و إشكاليات – 30-10-2016- alriwaya.net

و قد اهتمت الدراسات الأدبية بالفضاء في الرواية ، باعتباره فضاء جغرافي يؤسس السرد ، و يعطي للخيال تجلياته الحقيقية ، فالفضاء المكاني مكوّن سردي ، و يؤكد الدكتور حسن البحراوي في مقدمة كتاب (الفضاء الروائي) بأن المكان "يتميز في السرد بكونه يتشكل كموضوع مستقل للفكر و يتضمن مبررات وجوده في ذاته أكثر مما يحيل على إمكانية محسوسة أو مدركة مباشرة"¹. والفضاء يتأسس بعدة أشياء، " بدءا بالراوي ولغته التي يستخدمها ثم شخصيات الرواية، ومن ثمة فإن للفضاء والراوي علاقة في تأسيس العمل الروائي"².

ولكن الناقد عبد المالك مرتاض يناقض هذا الرأي إذ يرى " أن الروائي إذا أراد أن يعبر عن نظريته للوجود ليس عليه أن يذهب إلى مكون الفضاء ويتخذ منه وسيلة لبلوغ هذا الهدف، بل إن له طرقا متعددة لإبراز ذلك " ³. فكل روائي في نظر الدكتور مرتاض عندما يعمد لكتابة رواية لا يتخذ الفضاء ركيزة له أو وسيلة لإنجاح روايته بل يرى الرواية من كل أبعاده من حيث الزمان الروائي و الشخصيات و اللغة فكلها لها دور في إبراز عمله الأدبي .

أما عن مفهوم الفضاء في رأي النقاد، كان رأي عبد المالك مرتاض كالاتي : " إن مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل قاصر بالقياس إلى الحيز لان الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في

¹ محمد داني – موضوع في قراءات السرد – 11/03/08 – موقع مطر www.matarmatar.net

² جماعة من المؤلفين – الفضاء الروائي – ترجمة عبد الرحيم حزل – افريقيا الشرق –الدار البيضاء - 2002 ص5-6.

³ ينظر –أشكال الفضاء الروائي في الخطاب النقدي المعاصر – مقال 2009-08-27

www.startimes.com

الخواء و الفراغ ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى التواء و الوزن و الثقل و الحجم و الشكل ... على الحين أن المكان نريد أن نوقفه في العمل الروائي، على مفهوم الحيز الجغرافي وحده"¹.

فالدكتور عبد المالك مرتاض يفضل استعمال كلمة حيز على كلمة فضاء لأن كلمة حيز شاملة و قد درسه في كتابه نظرية الرواية ، و سمي فصلا عنونه بالحيز الروائي و أشكاله " ، مبينا أهميته في العمل الروائي .

و يضيف أن الفضاء هو " المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب المعاصرين ، جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر بحيث لا نعتقد أننا نصادفه في الكتابات العربية التي كتبت منذ ثلاثين عاما ، و لقد جاء استعماله نتيجة لآلاف المصطلحات الجديدة التي دخلت اللغة العربية عن طريق الترجمة من اللغة الغربية و خصوصا الفرنسية في النقد و الإنجليزية في التقانة"².

أما سمر روجي الفيصل فيرى : "إن الفضاء أكثر اتساعا من المكان ، فهو يشمل أمكنة الرواية كلها ، إضافة إلى علاقته بالحوادث و منظورات الشخصيات"³ ، فكما رأينا أن مصطلح الفضاء يختلف من ناقد لآخر فالدكتور مرتاض يراه مصطلح جديد في الاستعمال لا نصادفه في الكتب العربية القديمة ، و جاءت تسميته من الغرب عن طرق ترجمته ، أما الدكتور سمر الفيصل فعكسه ،

¹ عبد المالك مرتاض - نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد - سلسلة كتب ثقافية - الكويت - شعبان 1998 - ص 121.

² نفس المصدر ص 122.

³ ينظر - عبد الله أبو هيف - جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر - مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية - سلسلة الآداب و العلوم الانسانية - مج 27- عدد 1- 2005- ص 124.

يفضل كلمة فضاء لأنه يعتقد أنها تشمل كل الأمكنة الموجودة في الرواية هو شائع و له علاقة بالحوادث و الشخصيات .

إن الإنسان لم ينفصل عن فضائه يوماً ، لأنه يخترق حياته ، و هو كذلك بالنسبة للرواية فهو يضم أمكنتها جميعاً لان الفضاء كما سبق و رأينا اشتمل و أوسع من المكان ، يقول حمداني : " إن الفضاء أهم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد و أعمق من التحديد الجغرافي ، و إن كان من الأساسي أنه يسمح لنا بالبحث عن فضاءات تتعدى الحدود و الجسد لمعانقة التخيلي و الذهني و مختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء " ¹ ، الفضاء في رأي حمداني يتجاوز مفهوم المكان من حيث العمق و البعد الجغرافي ، فالفضاء شامل يفتح لنا المجال للبحث .

تقول عائشة الحكمي : " كثرة الأمكنة و مجموعها منطقياً يستدعي أن نطلق عليها الفضاء " ² ، و نستنتج هنا أن كلما كثرة الأمكنة في الرواية مثلاً نسميها فضاء .

فكما لاحظنا أن للفضاء تأثير قوي و مباشر على الرواية، فهو يصور لنا المشهد الذي يدور بين الشخصيات و يعطي لنا صورة مختصرة عن الأحداث و الوقائع التي تجري في الرواية.

ج) وظائف الفضاء في الرواية:

__ للفضاء دور مهم داخل النص الروائي " فهو إيهام ثانوي ووسيط تتحقق عبره الخصائص

الفضائية في الفنون الزمنية كالمسرح و الشعر و الرواية .

¹ ينظر محمد علي عوض – الفضاء الروائي -3 اكتوبر 2016 -alriwaya.net
² ينظر - محمد علي العوض – الفضاء الروائي -2016/10/3 -alriwaya.net

__ أما الوظيفة الثانية فتتجلى من خلال الأنواع الهندسية ، كالنقطة و الخط و المستوى و المسافة .

__ علاقة الرواية بالفنون الفضائية كالرسم و النحت و العمارة¹ .

2) علاقة المكان بالرواية :

إن وظيفة المكان في الرواية لها أهمية كبيرة و هو ركيزة و عنصر أساسي من العناصر الفنية ، و هو وسيلة من الوسائل الفنية التي تحمل عمقا جماليا ، فالمكان هو مخزون لكل التجارب الإنسانية و الاجتماعية كل هذا جعل العمل الروائي عملا متكاملا و غنيا فنيا. "فمنذ القدم و حتى وقتنا الحاضر سجل المكان مختلف الثقافات و الأفكار و الفنون و العادات و المعتقدات ، لذا فهو لا يكتسب قيمته إلا بوصفه وعاء للزمن حيث يسعى الواحد منا من خلالهما إلى تحقيق شعوره و التواجد الفردي و الاجتماعي، فالمكان من الناحية الذهنية لا يبقى منغلقا بل هو يتوزع عبر ذواتنا² .

فالمكان كما رأينا هو الوسيلة التي يستطيع بها الفرد تسجيل ماضيه و حاضره ، فحتى و إن نسينا حدثا ما ، بمجرد رؤيتنا للمكان نتذكر من خلاله الأحداث و الذكريات التي حدثت معنا ، أما بالنسبة للعادات و التقاليد كذلك نجد لها مكانا خاصا بها مثلا لكل منطقة عاداتها و تقاليدتها التي تمثلها .

¹ ينظر - - محمد علي العوض - الفضاء الروائي -2016/10/3-alriwaya.net.

² ينظر - احمد طالب -جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية -دار الغرب للنشر و التوزيع -ص13-12-11.

"فالمكان في النص الروائي ليس مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية، إنما هو عنصر حامل لدلالة و يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية"¹.

و يرى جاستون باشلار في كتابه جماليات المكان أن " العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته و أصالته "²، أي انه مهم جدا في الأعمال الأدبية و إذا غاب غابت قيمة العمل . فالمكان يمثل في الروايات "الطابع الواقعي ، الفئات الاجتماعية ، و مستويات ظواهرها الحضارية المختلفة من خلال أبعاد دلالية عميقة التي تتمازج مع أحداث الرواية و شخصياتها ، فمن خلال المكان يستطيع الروائي تصوير مظاهر الحياة اليومية ، و المشاهد الشعبية و العادات الاجتماعية و المناسبات في لوحات جمالية مستمدة من ملامح الواقع"³، فنرى أن الروائيين يصورون بيئتهم التي يحيون فيها كالوطن مثلا و الأرض سعيا منهم إلى تجسيد الواقع المعاش .

و الجدير بالذكر أن وصف المكان ، " لا يتمثل إلا في الذهن الذي يتخيله و يؤمن به ، فذهن الإنسان لا يرى عوالم فحسب بل يخلقها أيضا و إن كانت مختلفة عن العوالم الحقيقية ، فهي أجسام من الواقع الذي نتحرك فيه للميزة التي يتمتع بها الذهن ، و هي حرية انتقاله عبر الأماكن التي لا نحيا دائما فيها"⁴، فالمكان لا يبقى في مركز واحد في ذاتنا بل يتجاوز ذلك أي انه يتجه

¹ ينظر – أهمية المكان في النص الروائي – مجلة نزوى- www.nizwa.com
² جاستون باشلار- جماليات المكان – ترجمة غالب هلسا – ط2 – ص6.

³ ينظر – احمد طالب –جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية –دار الغرب للنشر و التوزيع – ص 22-23.

⁴ المرجع نفسه ص 22

إلى ذاكرتنا و أحلامنا ، فالكاتب في الرواية لا يقتصر على تصوير مكان واحد بل يتعدى الأمكنة حسب تعدد الأحداث و من هنا تأتي أهمية الاعتماد على وصف الأحداث التي ينبغي للكاتب انتقاؤها بدقة و إيجاز.

و لعل من خصائص المكان انه يضيف طابعا مميزا للرواية ، و تصبح الأمكنة في الرواية " نواة و بؤرة سطحا و عمقا مكانا شعبيا محدودا و موقفا لتاريخ اشمل ، و يمثل هذا الفهم لمكونات العمل الإبداعية نستطيع أن نربط و بدون تبسيط بين التاريخ و المعاصرة و بين ماضي الأجداد و فعل الأبناء ، فلقد أصبح الدور التاريخي لكل عملية مشخصة ، و كأننا على الأرض أو في الفكر فاعلا عندما يصبح جزءا مهما من عملية تطويرية و مستمرة " ¹.

يتضح لنا أن المكان دعامة و ركيزة من ركائز العمل الروائي، إذ انه يساعد على التركيز و الإدراك للأشياء و البيئة التي تدور فيها الأحداث و الشخصيات.

و المكان ليس مجرد ايطار تدور فيه الأحداث و الشخصيات فقط و إنما هو إحدى العناصر الفاعلة التي تحتل مرتبة عالية في الرواية ليصبح جزءا لا يتجزأ منها .

¹ ياسين النصير -الرواية و المكان - دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، سنة. 1986

الفصل الثاني

1) التعريف بالروائية:

أحلام مستغانمي هي أديبة جزائرية مقيمة في لبنان ، ولدت سنة 1953 في تونس من أب ذي جنسية جزائرية ، و لقد صرحت في إحدى اللقاءات الصحفية ، حين سُئلت : كيف كانت طفولتك و فترة المراهقة و ماذا تعني لك الكتابة ؟ ، قالت : " كان أبي يهوى الأدب الفرنسي و تعرض للسجن بسبب نشاطه السياسي ، و نشأت في محيط عائلي وطني التوجه ، و بعد الاستقلال عدت إلى الجزائر لأدرس في مدرسة الثعالبية للبنات ، و من ثم ثانوية عائشة أم المؤمنين لأتخرج سنة 1971 م من كلية الآداب ضمن أول دفعة معربة تتخرج بعد الاستقلال من جامعة الجزائر ، و طبعا الطفولة ليست كلها سعيدة هذا يكون طبعا في القصص الخرافية فوصولي إلى الجزائر كان فعلا مؤشرا ، كان اكتشافا أن أقوم بأول رحلة مضطربة و عمري 10 سنوات ، و سوف يكون طبعا لهذه النقلة أن تعلمت لهجتين و أصبحت لي مرجعيتين و طبعا لا نشعر بذلك إلا في الكبر ، حيث يشعر بذلك التزاوج " ¹.

أ) الكتابة عند أحلام مستغانمي :

إن الكتابة بالنسبة لأحلام مستغانمي هي " نوع من الانهماك السري في الحياة هي في البداية مناجاة ، و الكتابة لغة مختزلة ، و بعد أن كتبت الشعر كتبت الرواية التي جاءت متأخرة جاءت نتيجة لمعايشة أشياء صعبة عجز الشعر عن معايشتها ن بحثت عن فضاء أكبر لم أكن أنوي النشر في البداية ، فعلت ذلك لأخلق واد أنفخ فيه صرخاتي و ميولي و كل الأحاسيس التي تخالجي و التي لا يعجز عنها إلا القلم و الكلمة " ².

¹ زهرة ديك- أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت- دار الهدى 2013-ص 46 .

² المرجع السابق ص 47.

نلاحظ مما سبق أن الروائية أحلام مستغانمي فضلت الرواية عن الشعر لان الرواية بمثابة بوح عن مات في داخلنا ، فعندما تكتب تفرغ مخزونها و أحاسيسها في تلك الرواية التي تكتبها ، و قد تأثر الكثير من القراء بكتاباتها و أصبحوا يقلدونها في أسلوبها الرافي .

ب) كيف تتعامل أحلام مع قرائها ؟

تجيب أحلام على هذا التساؤل قائلةً : "إنها معجزة الكتابة فكيف يكون لك كل هذه الشعبية دون سيف أو سلطة ؟ إنها نعمة حقا ، و هذا الحساس الجميل لا يزيدني إلا تواضعا أمام القراء ، فالكاتب تقاس موهبته بتواضعه ، فليس من الممكن أن يكون الكاتب مغرورا أو مترفعا كن الذين يكتب لهم ، و قد أدهشني مشاعر الناس في كل الأماكن التي ألتقيهم فيها سواء في الشارع أو في المعارض أو المحاضرات فالأسلوب الذي أعتمده في كسب القارئ هو الإغراء خصوصا إذا لم يقتنع بك أو كان يشكك بك " ¹.

فأحلام مستغانمي امرأة محظوظة بتألقها و نجاحها أمام جمهورها ، تقول و تكتب كلماتها دون ركاكة في الأسلوب ، نجد في كتاباتها اللهجة الجزائرية ن فهي امرأة تحب وطنها فهي سيدة الأحاسيس و العبارات ، سيدة الحب ببساطة لأنها ابنة لشخصية تاريخية لها تاريخها النضالي في سبيل حرية الجزائر ، فليس غريبا أن نجدها امرأة شجاعة و ذات شخصية قوية .

عملت في الإذاعة الوطنية مما خلق لها شهرة كشاعرة إذ لاقى برنامجها "همسات" استحسانا كبيرا من طرف المستمعين انتقلت أحلام مستغانمي إلى فرنسا في سبعينات القرن الماضي حيث تزوجت من صحفي لبناني ، و في الثمانينات نالت شهادة لدكتوراه من جامعة السوربون ، تقطن حاليا في بيروت ، و هي حائزة على جائزة نجيب محفوظ العام 1998م عن روايتها "ذاكرة الجسد" ².

¹ زهرة ديك- أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت- دار الهدى 2013 -ص85.

² يُنظر زهرة ديك- أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت- دار الهدى 2013 - ص 86

ج) مؤلفاتها:

- أول مؤلف لها كان عام 1972م - على مرفأ الأيام - صادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر -.
- أكاذيب سمكة عام 1993م صادر عن المؤسسة الوطنية للنشر.
- الكتابة في لحظة عري عام 1976م صادر عن دار الآداب بيروت .
- الجزائر ، المرأة و نصوص عام 1985م عن منشورات "ارماتان " بباريس .
- ذاكرة الجسد عام 1993 م صادرة عن دار الآداب بيروت.
- فوضى الحواس عام 1997 صادر عن دار الآداب ببيروت ن وصلت اليوم إلى طبعتها 15 نتيجة لعقد مبرم مع الجامعة الأمريكية بالقاهرة و هي في طريقها إلى الترجمة غالى العديد من اللغات الأجنبية.
- عابر سرير عام 2003 صدرت عن منشورات أحلام مستغانمي .
- نسيان com ، صادرة عن دار الآداب .
- الأسود يليق بك عام 2012 صدرت عن دار نوفل.

د) رأي أحلام مستغانمي في الرواية العربية النسوية:

إن الكتابة النسوية في رأي أحلام هي جرأة و حركة جميلة ، فهي تبدو كتسونامي نسائي قادم مليء بالأفكار ، و المهم في الأمر هو التّريث و على الكاتبات المقبلات على نشر كتبهن و رواياتهن، أن لا يتسرعن في عملية النشر ، لأنها ابسط شيء . فالكتابة ليست سهلة كما يعتقد الجميع ، أحيانا نكتب شيئا ما ثم عندما يمر الوقت نندم على كتابته ، و أحلام مستغانمي تقول أنا تعلمت أن أتريث و دائما أكتب بتأناً أكبر¹ .

¹ يُنظر - زهرة ديك - أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت- ص 521-522.

و كانت أحلام مستغانمي في عملها خارجة عن القانون في كل ما لهذا القول من معنى و تقول :
للرواية قانون و للقصة القصيرة قانون و للشعر قانون ، و هي تمزج تلك القوانين الثلاثة و تتحداها
جميعا ، فهي تكتب قصة قصيرة عملاقة تقع في 779 صفحة ، و هي ذاكرة الجسد 404 ص و
فوضى حواس 375 ص¹.

و لكن إذا عدنا إلى تقنيات الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض الذي يرى " أن للرواية أربعة أركان :
وصف للواقع ، و سرد الأحداث و رسم الشخصيات ، و وصف الأماكن " ².

أما أحلام مستغانمي فترتيبها حسب الأولوية : " رسم الشخصيات ثم وصف الواقع ثم سرد الأحداث
ثم وصف الأماكن " ³.

فكما لاحظنا أن لكل من أحلام و الدكتور مرتاض رأي خاص به ، فقد جعلت أحلام الأولوية
للشخصيات لأنها إذا غابت لم يبقى للرواية معنى ، و لكن مرتاض جعل الأولوية للواقع لان به تبني
أحداث الرواية ، و يبقى لكل واحد منهم رأيه الخاص .

(2) ذاكرة الجسد: (قراءة في عنوان):

ـ(أ) الذاكرة: هي التي تحفظ و تسترجع أو تستحضر بما ما هو مخزن فيها، نقول " تذكر بمعنى
استحضر لذا سميت الذاكرة خزانة للذكريات و للأسرار الخفية و الوعود و هي أكثر من مجرد
تاريخ نظرا لما تحمله من خفايا تكمن بين أجنحتها " ⁴.
يقول جاستون باشلار : "الخزانة الحقيقية ليست مجرد قطعة عادية من الأثاث ، فهي لا تفتح
في كل يوم ، و هي كالقلب الذي لا بوح بأسراره لأي إنسان ، فمفتاحها لا يوجد في بابها
دائما " ¹.

¹ ينظر المرجع السابق ص 43-44 .

² عبد المالك مرتاض – نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد- سلسلة كتب ثقافية –الكويت-
شعبان 1998 ص 18

³ زهرة ديك – أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت-دار الهدى 2013 _ ص 105

⁴ ابن سائح الأخضر – جماليات المكان القسنطيني- قراءة في ذاكرة الجسد – دار اللواء 2013 ص 9

نلاحظ أن الذاكرة هي مخزون حامل للأسرار و الخفايا، و هي الرواية نجد الذاكرة مرتبطة بجسد هو جسد خالد الذي شارك في الثورة ن و جسده هو ذراعه المبتورة.

" و الذاكرة هي إحدى قدرات الدماغ التي تمكنه من تخزين المعلومات و استرجاعها ، و تدرس الذاكرة في حقول علم النفس الإدراكي و علم الأعصاب ، و هناك عدة تصنيفات للذاكرة بناء على مدتها ، طبيعتها ، و استرجاعها للحالات الشعورية "2.

ب- الجسد: هو الجسم سواء كان جسم إنسان أو حيوان أو شيء جامد ، أما في الرواية معناها مرتبط بالمكان و بالمرأة في نفس الوقت ، " لأن الجسد الإنساني يعد امتدادا للمكان و حسب قوانينه يتشكل و يتكون و هنا صعوبة بل استحالة تحديد التخوم لتي تفصل الجسد عن محيطه المكاني فثمة تقاطعات و تشابكات بينهما"3.

فالمكان مرتبط بالجسد لأنه مميز بصفاته و سلوكات هو أفكاره ، فهو بذلك يمثل المكان و ذلك ما نلاحظه في الرواية فجسد حياة هو الجزائر و جسد كاترين هو فرنسا و جسد خالد هو الثورة و الجزائر بتاريخها و نضالها .

" و من هنا يتحول الجسد إلى ذاكرة لما يحمله من أحاديث و أغوار متعلقة بذلك الماضي حيث الثورة و الاستعمار، و ما عقب الثورة من حقائق جعل الجسد يتحول إلى ذاكرة. يحمل أسرار و خفايا خاصة هذه اليد المبتورة التي تطرح أكثر من علامة استفهام "4.

و جسد حياة هو الذاكرة ذاكرة خالد ن فكلما شاه حياة وجد فيها تفاصيل بلده الجزائر، في سمرتها و سواد شعرها و ما إلى ذلك، فقد كان شاهدا على ذلك منذ ولادتها.

- جسد حياة ← يحمل حفريات المكان الجزائري .

- جسد الراوي ← و هو الشاهد و الشهيد في أن واحد شاهد على أسرار هذا الجسد

و بالتالي أسرار هذا المكان و شهيد لأنه ضحى بأغلى ما يملك من هذا الجسد يده المفقودة.

¹ جاستون باشلار - جماليات المكان - ص 113.

² ويكيبيديا- ذاكرة بيولوجيا -21مارس 2008 - a r . m . wikipedia . o r g

³ ابن سائح الأخضر - جماليات المكان القسنطيني- قراءة في ذاكرة الجسد- دار اللواء 2013 ص11

⁴ ابن سائح الأخضر - جماليات المكان القسنطيني- قراءة في ذاكرة الجسد - دار اللواء 2013 ص10

- جسد كاترين _____ يحمل حفريات المكان الفرنسي و كان طرفا في هذه الثورة و في التاريخ الجزائري .

- الذاكرة _____ هي الحافظة لأسرار كل منهما و ما يثير نزيف الذاكرة هو هذا الجسد المغربي¹.

ج) علاقة قسنطينة بالذاكرة:

إن مدينة قسنطينة هي دلالة مكانية ، تدل على الأصل و الهوية و التاريخ العريق ، فبما أن قسنطينة مثلت هوية خالد بن طوبال فقد سكنت ذاكرته و أصبحت جزءا منها " و ذاكرة الراوي خالد بن طوبال هي ذاكرة جمعية بالتحليلات المكانية و التفكير السياسي و من هنا تحولت الذاكرة إلى مجال فعال يتم من خلالها انتقاء أحداث الماضي و إعادة بنائها و صونها " ² .

فخالد يحمل في ذاكرته تاريخ الجزائر و يحمل في جسده مخلفات الاستعمار — يده المبتورة— فالمكان بطبيعة الحال تصنعه الذاكرة ، و حتى و إن نسي ذلك المكان و غاب عن مخيلته تأتي ذراعه المبتورة لتذكره به ، فجدد قسنطينة حاضرة في كل مكان ، وجدناها في لوحاته في معرضه الذي نضمه بفرنسا فكانت أول لوحة رسمها سمها حين ، فهي تمثل قسنطينة و جسورها ، فحتى و إن سافر خالد إلى فرنسا و لكن حفريات المكان بقيت طاغية على شخصيته و ذاكرته .

"لذا لم يكن المكان القسنطيني الذي يحمله خالد بن طوبال في ذاكرته مجسدا بأبعاده الفيزيائية و، و إنما في الموقع الثقافي الذي يسطر عليها لان المكان لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي و إنما يتغلغل عميقا في الكائن الإنساني ، حافرا مسارات و أخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة ليصبح جزءا صميما منها " ³ .

3) ملخص رواية " ذاكرة الجسد ":

¹ ينظر المرجع السابق ص 12

² ينظر المرجع السابق ص 19-20 .

³ ابن سائح الأخضر— جماليات المكان القسنطيني- قراءة في ذاكرة الجسد —دار اللواء-2013- ص 20-19

² زهرة ديك- أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت- دار الهدى 2013- ص128.

رواية ذاكرة الجسد هي رواية صدرت عام 1993 م عن دار الآداب ببيروت ، وصل عدد طبعاتها إلى أكثر من 20 طبعة و قد حصلت على عدة جوائز منها جائزة مؤسسة النور بالقاهرة عام 1996م ن و التي تمنح لأحسن إبداع نسائي باللغة العربية، و كذلك حصلت على جائزة نجيب محفوظ للرواية ، و التي منحت لها من قبل الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام 1998م ، و حازت على جائزة جورج تراباي كأفضل عمل أدبي منشور في لبنان و ترجمت الرواية للغات الألمانية و الإسبانية و الصينية و الكردية و قد اعتبرها النقاد كأحسن عمل روائي صادر في العقد الأخير².

بدأت أحلام مستغانمي روايتها ذاكرة الجسد بإهداء :

إلى مالك حداد...

ابن قسنطينة الذي أقسم بعد الاستقلال الجزائر ألا يكتب.

بلغة ليس له لغته...

فأختالته الصفحة البيضاء... و ما به متأثرا بسرطان صمته.

ليصبح شهيد اللغة العربية، و أول كاتب قدّر أن يموت.

صمتا و قصرا و عشقا لما .

و إلى أبي ..

عساه يجد هناك من يتقن العربية ، فيقرأ له أخيرا

هذا الكتاب... كتابه.

- ملخص:

رواية ذاكرة الجسد هي رواية تحمل خمسة فصول، مكونة من 383 صفحة ممزوجة بين اللغات الفصحى و الدارجة و الفرنسية، و تتلخص أحداثها كالآتي:

خالد بن طوبال شخصية رئيسية في رواية ذاكرة الجسد ، شارك في الثورة الجزائرية و هو ابن الخامسة و العشرين ، يقاتل في إحدى جبهات الثورة تحت قيادة سي الطاهر عبد المولى ، و كلاهما من قسنطينة يصاب خالد في إحدى المعارك فينقل مع الجرحى إلى تونس ليعالج ، و قد أعطاه مسبقا سي الطاهر وصية يوصلها إلى عائلته المقيمة في تونس .

بعدها دخل خالد المستشفى و بدأ يعالج ، رسم لوحة اسمها " حنين " ، عبرت عن شوقه لبلده ، بعدها سافر إلى باريس و يده ليسرى مبتورة و من هنا بدأت مأساته ، في فرنسا أقام معرضا للرسم هناك التقى بحياة ابنة سي الطاهر التي زارها في تونس و هي لازالت طفلة صغيرة ، و الآن بعد مرور 25 سنة رآها مرة أخرى و هي شابة جميلة تزور معرضه بباريس ، وقع خالد في حب حياة و لما رأى ملامحها عادت به الذاكرة إلى الوراء 25 سنة .

كان خالد و حياة يلتقيان دائما ، فقد كان يرى فيها مدينته قسنطينة ، في ملامحها و لهجتها ، " أنتِ مدينة... و لست امرأة و كلما رسمت قسنطينة رسمتِ أنتِ و وحدهك ستعرفين هذا " . بعدها رحلت حياة إلى الجزائر مع عائلتها و تركت فراغا كبيرا في قلب خالد فلم يحتمل فراقها كان إذا رآها يتمنى لو يتوقف الزمن عند تلك اللحظة، " قف أيها الزمن ما أجمل " .

تلك السنة زار خالد صديقه زياد قضى معه أياما رائعة وقت الثورة ، و المفاجأة أن في ذلك الشهر جاءت حياة و التقت بزياد و خالد كان حاضرا في موعد، و لكن حياة كانت غائبة هذه المرة و كان اهتمامها منصبا على زياد ، أحس خالد و كأنه ارتكب أكبر خطيئة عندما جمع بينهما ، مرت الأيام و رحل زياد و بعدها وصل خير وفاته إلى خالد و أصيب بالصدمة عل صديقه .

خالد من بداية الرواية إلى آخرها عاش وحيدا فكل أحبائه تركوه، بقي أملة معلقا بحياة ، و ذات يوم يصله اتصال من سّي شريف ليقول له انه سيأخذه معه إلى قسنطينة ، فتفاجئ خالد سائلا ن: لماذا قسنطينة ؟ و رد عليه سّي شريف : لحضور عرس ابنة أخي الطاهر - حياة- ، نزلت صاعقة على خالد ، " شعرت فجأة بان صوتي انفصل عن جسدي و أنني عاجز عن أن أجيب . " ، و بعد انتهاء المكالمة بدأت مرحلة جديدة من حياة خالد ، أعلن اليوم خروج حياة من حياته ، حضور عرسها كان بمثابة مأثم عند خالد.

عشر سنوات غابها عن قسنطينة ، و الآن هو راجع إليها محطم القلب ليحضر زفاف حبيبته حياة ، وصل خالد إلى قسنطينة ، " ها هي قسنطينة ... ساعتان فقط ليعود القلب عمرا إلى الوراء ، تشرع المضيفة باب الطائرة ، و لا تنتبه إلى أنها تشرع معه القلب على مصراعيه فمن يوقف نرف الذاكرة الآن ؟ " .

التقت اللوحة حنين مع اللوحة الأصل -قسنطينة- استقبله حسان أخوه الصغير ، استقبله في بيته الصغير المتواضع ، الذي تسكنه زوجته عتيقة و أولادها الستة ، عائلة بسيطة و أحلامها بسيطة ، تمر الأيام و خالد يتجول قسنطينة و يتذكر ذكرياته التي عاشها فيها ... و جاء اليوم الموعود -عرسك- يتحضر الجميع لهذا الحدث الذي انبهرت به مدينة قسنطينة ، تترقب عتيقة زوجة أخي العرس و تتحضر هي و أخي لحضوره ، كان خالد مثقلا ذلك اليوم لا يستطيع الحراك ، ناصر اخو حياة كان يرفض تماما هذا الزواج و لم احضره ، فشعر خالد أنّ هناك شخص آخر يشاركه حزنه ، سكر خالد تلك الليلة من شدة حزنه على حياة ثم جهز نفسه لبس ثوبه الأسود و ذهب مع حسان لحضور العرس ، رحب بهما سّي شريف و قد كان العريس صديقا قديما لخالد ، وصف خالد العرس بالكارنفال و بسرك عمار ، كانت ليلة طويلة بالنسبة له مليئة بالحزن ..ها هي حياة ترحل من حياة خالد إلى الأبد ليبقى حسان هو سنده الوحيد في هذه الحياة ، بعدما عاد خالد إلى فرنسا أصبح حسان يزوره كل مرة فتعود عليه ، و لكن خائته الدنيا و قدره هذه المرة كذلك ، ليأتيه اتصال من عتيقة

لتخبره بأن حسان قد مات ... ، نزل الخبر على خالد كالصاعقة ، قُتِل حسان سنده و ذراعه اليمنى .

خالد الذي جاءت به قسنطينة مُكرها مرتين ، مرّة ليحضر عرس حياة ، و مرّة ليدفن أخاه. كم هي تعيسة حياة هذا الرجل فقد قُتِلت كل أحلامه و بقيت ذاكرته وجعه الوحيد التي تذكره بهذا الماضي الأليم...

✓ آراء حول الرواية :

يقول نزار القباني عن الرواية : " قرأت رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي و أنا جالس أمام بركة السباحة في فندق سامر لاند في بيروت ، بعد أن فرغت من القراءة الرواية خرجت لي أحلام من تحت الماء الأزرق كسمكة دولفين جميلة و شربت معي فنجان قهوة و جسدها يقطر ماء... روايتها دوختني ، و أنا نادرا ما أدوخ أمام رواية من الروايات و سبب الدوخة أن النص الذي قرأته يشبهني إلى درجة التطابق فهو مجنون و متوتر و اقتحامي و متوحش و إنساني و شهواني و خارج عن القانون مثلي و لو أن أحدا طلب أن أوقع اسمي تحت هذه الرواية لما ترددت لحظة واحدة .

هذه الرواية لا تختصر ذاكرة الجسد فحسب و لكنها تختصر تاريخ الوجدع الجزائري و الحزن الجزائري و الجاهلية الجزائرية التي آن لها أن تنتهي... و عندما قلت لصديق العمر سيل إدريس رأيي في رواية أحلام قال لي: لا ترفع صوتك عاليا... لأن أحلام إذا سمعت كلامك الجميل عنها فسوف تجن، أجبته: دعها تجن... لأن الأعمال الإبداعية الكبرى لا يكتبها إلا المجانين . و يقول المخرج يوسف شاهين : أعجبتني كثيرا " ذاكرة الجسد " ففيها زخم من الوقائع و الأحداث التي تصور جزءا من شخصية مجاهد في الثورة الجزائرية"¹.

ماذا قال النقاد عن أحلام مستغانمي؟

1 ينظر - زهرة ديك- أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت- دار الهدى 2013 ص 235-237.

"صرحت لجنة تحكيم جائزة نجيب محفوظ 1998 م أن الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي نور يلعب وسط هذا الظلام الكثيف و هي كاتبة حطمت المنفى اللغوي الذي دفع إليه الاستعمار الفرنسي مثقفي الجزائر"¹.

أما بالنسبة للروائي الطاهر وطار فهو يقول: "الجزائر كلها حُسدت في أحلام كما تحسد في خريطتها و في شهدائها و في كل ما لديها حتى من أحزان"².

و يقول عبد الرحمن مجيد الربيعي: "إن أحلام مستغانمي هي الروائية العربية الأولى التي فاق عدد طبعات رواياتها الأولى 15 طبعة ، و روايتها الثانية أكثر من 10 طبعات ، و هذا ما لم يحصل من قبل في أدبنا العربي و مع أي روائي آخر... و هي في مقامها الشامخ العلي هذا أثبتت أنّ الاجتهاد يأتي بالنص الكبير إن توفرت الموهبة الحقيقية و الإصرار على الاستمرار"³.

- مقاطع أعجبتني من صفحات رواية " ذاكرة الجسد":

✓ "التقينا إذن ...

الذين قالوا وحدها الجبال لا تلتقي أخطأوا .

و الذين بنوا بينها جسورا، لتتصافح دون أن تنحني أو تتنازل عن شموخها... لا يفهمون شيئا في قوانين الطبيعة.

الجبال لا تلتقي إلا في الزلازل و الهزات الأرضية الكبرى و عندها لا تتصافح ، و إنما تتحول إلى تراب واحد.

التقينا إذن ..."⁴

✓ "نحن لا نُشفى من ذاكرتنا و لهذا نحن نكتب و لهذا نحن نرسم و لهذا يموت بعضنا

أيضا."¹

¹ المرجع نفسه ص 236.

³ المرجع نفسه ص 239.

³ ينظر - زهرة ديك- أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت- دار الهدى 2013 ص 239.

⁴ أحلام مستغانمي ،رواية ذاكرة الجسد ،دار نوفل ،بيروت لبنان ، 2013 ، ص 89.

✓ "اكتب إليك من مدينة مازال تشبهك و أصبحت أشبهها ما زالت الطيور تعبر هذه الجسور على عجل و أنا أصبحت جسرا آخر معلقا هنا، لا تحيي الجسور بعد اليوم."²

✓ "كنت احبك أنت... و ما ذني أن جاءني حبك في شكل خطيئة ؟"³

✓ "و إذا بي اسكنها في غفلة من الزمن و كأني اسكن غرف ذاكرتي المعلقة من سنين."⁴

✓ "ها هي ذي قسنطينة... باردة الأطراف و الأقدام محمومة الشفاه مجنونة الأطوار، ها هي ذي... كم تشبهينها اليوم أيضا... لو تدرين."⁵

و يظهر مما سبق أن أحلام مستغانمي استطاعت بعملها هذا جذب قرائها ، فرواية ذاكرة الجسد أبداع شيق ، فهي غنية بالجمل المأثورة و المعبرة و بذلك شددت القراء شدا لقوة تعبيرها و دقة جملها المنتقاة بعناية .

فرواية ذاكرة الجسد تصنف ضمن الروايات الرومانسية التاريخية ، لأنها تمزج بين تاريخ الجزائر و علاقة حب ، و العنوان ذاكرة الجسد عنوان صادق و متطابق مع المحتوى ، و لغة الكاتبة لغة فصيحة و أسلوب شاعري رائع جدا فهي ملكة الاستعارات و المجاز، و الرواية مليئة بالتجارب الإنسانية ، فعند بداية الرواية و بداية قراءتها تتشوق لرؤية باقي الأحداث .

¹ أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، دار نوفل ،بيروت لبنان ، 2013 ،ص 246.

² نفس المصدر ،ص 10.

³ نفس المصدر ،ص 50.

⁴ نفس المصدر ،ص 75.

⁵ نفس المصدر ،ص 13.

الفصل الثالث

المكان و الأحداث في الرواية:

للمكان علاقة بمخيلة الإنسان و ذاكرته ، فقد يكون الشخص في مكان ما غير مكانه الحقيقي الذي هو متواجد فيه ، و ذلك بذاكرته التي يسافر بها حيث يشاء ، شأنه شأن المغترب الذي يبتعد عن وطنه مدّة طويلة ، و يشترق لرؤيته و يحن إليه فيسترجع تلك الأيام التي عاشها فيه ، فتجده يتذكر كل ركن في وطنه أو في مدينته التي ولد و تربي فيها ، نجد هذه الصورة في رواية "ذاكرة الجسد" ، عند بطلها خالد بن طوبال الذي عاش في فرنسا و كان مشتاقا لمدينة قسنطينة ، فعبر عن أحاسيسه بواسطة الرّسم ، حيث أنّه رسم جسورها و مناظرها الطبيعية ، فقد كان الرّسم وسيلة ليعبر بها عن مشاعره و يصف بها مدينته .

و الشّيء الثاني الذي كان يذكر خالد بمدينته قسنطينة هو "حياة" ، الفتاة التي أحبها فقد كانت تذكره بمدينته ، في تفاصيل وجهها و طريقة كلامها و لباسها و حتى "المقياس" التي كانت تضعه في يدها يذكره "بأمّ" والدته فقد كانت تضع نفس "المقياس" على معصمها و هو من عادات و تقاليد قسنطينة .

فللمكان علاقة بالأحداث في الرواية ، فنلاحظ أن قسنطينة رمز للبطلة و نجد خالد يصف كل شيء فيها ، و ذلك عندما يقول: " لتعود بعد لحظات بصينية قهوة نحاسية كبيرة عليها إبريق ، و فناجين و سكرية ، و مرش لماء الزهر ، و صحن للحلويات ، في مدن أخرى تقدم القهوة جاهزة في فنجان ، وضعت جواره مسبقا ملعقة و قطعة سكر ، و لكن قسنطينة تكره الإيجاز في كل شيء إنها تفرد ما عندها دائما ، تماما كما تلبس كل ما تملك و تقول كل ما تعرف"¹.

¹ أحلام مستغانمي – رواية ذاكرة الجسد- ص8.

و شخصية خالد بن طوبال شخصية ثورية ، عاش شبابه في أحضان وطنه الجزائر ، و ضحى من اجل استقلاله بأغلى ما يملك و هو ذراعه، لذا عندما ابتعد عن وطنه شعر بالوحدة، و بدأ يحنّ إلى ابسط الأشياء ، كالقعدة في البيت المشروح و زوجة أخيه تأتيه بسينية قهوة و فهو يفترش البطانية ، فتلك الوحدة جعلته يتخيل نفسه كأنه رجع إلى قسنطينة مدينته الحبيبة.

فحتى و هو جالس في غرفته ينظر إلى النافذة ، يرى من خلالها طيف قسنطينة يطل عليه ، "أحاول أن أرى شيئاً آخر غير نفسي ، و إذا النافذة تطل علي تمتد أمامي غابات الغار و البلوط ، و تزحف نحو قسنطينة ملتحفة ملاءتها القديمة ، و كل تلك الأدغال و الجروف و الممرات السرية التي كنت يوماً أعرفها و التي كانت تحيط بهذه المدينة كحزام أمان"¹.

فقد كان الوطن بالنسبة لخالد الأم و الحنان و الدفاء و كل الانتماء "لم أعد أذكر الآن بالتحديد، في أي لحظة بالذات أخذ الوطن ملامح الأمومة و أعطاني ما لم أتوقعه من الحنان الغامض و الانتماء المتطرف له"².

1) بداية الأحداث في رواية "ذاكرة الجسد":

أ) سجن الكدية:

بدأت أحداث الرواية من سجن الكديا حيث كان الموعد الأول بين خالد و سي الطاهر فقد كان الفضل لسي الطاهر لالتحاق خالد بالثورة ، "كان سي الطاهر الذي استدرجني إلى الثورة يوماً بعد آخر يدري انه مسؤول عن وجودي يوماً هناك و ربما كان يشفق سرا على سنوات الست عشرة و على طفولتي المبتورة ، و على

¹ أحلام مستغانمي – رواية ذكرة الجسد- ص 23-24.

² المصدر نفسه ص 26.

أما التي كان يعرفها جيدا و يعرف ما يمكن أن تفعله بها تجربة اعتقاله الأولى¹، فقد انظم جل المساجين إلى الثورة و استشهد فيها أكثرهم من اجل وطنهم.

التحق خالد بالثورة و عمره لا يتجاوز العشرون سنة ، و بدأ يشترك مع سي الطاهر في عدة معارك ثم ارتفع إلى رتبة ملازم بعد سنتين من التحاقه.

"فسجن الكديا من المعالم المكانية البارزة في قسنطينة حيث دخله خالد و هو ابن ستة عشرة سنة ، فهو قاسم مشترك بين المناضلين جميعا، كما يعتبر الشحنة التي زادت في عزم خالد الذي يرتبط بشخصية رئيسية في هذه الرواية هي شخصية خالد"².

لقد كان السجن بالنسبة لخالد المدرسة و البيت الثاني ، لأنه تعلم فيه الكثير من الأشياء للاعتماد على نفسه وقد كان قدوته "سي الطاهر".

"فالسجن مدرسة للثورة و للرجولة ، ففرنسا أخطأت عندما جمعت سجناء سياسيين و سجناء الحق العام في زنانات لان هذا الجمع جعل عدوى الثورة تنتقل إلى المساجين فوجدوا فرصة للوعي العام السياسي ، و لقاء خالد بسي الطاهر يعتبر شيئا أسطوريا غير مجرى حياته"³.

"كان من مصادفة وجودي مع سي الطاهر في زنزانه نفسها شيئا أسطوريا بحد ذاته و تجربة نضالية ظلت تلاحقني لسنوات كاملة"⁴.

¹ احلام مستغانمي – رواية ذكرة الجسد ص28.

² ابن سائح الاخضر – جماليات المكان القسنطيني – قراءة في رواية ذكرة الجسد –سلسلة ابحاث مخبر اللغة العربية و ادابها 2013 – ص 178.

³ ينظر - ابن سائح الاخضر – جماليات المكان القسنطيني – قراءة في رواية ذكرة الجسد –سلسلة ابحاث مخبر اللغة العربية و ادابها 2013 –ص179.

⁴ احلام مستغانمي – رواية ذكرة الجسد ص 30.

نلاحظ أنّ الروائية أحلام مستغانمي بدأت بالسّجن في روايتها لتصور الحياة التاريخية في ذلك الوقت فقد اعتبرت السّجن مخلوق للرجال فقط و هو الطّريق الذي استدرج خالد للثورة و هو معلم بارز من معالم المكانية في قسنطينة.

ب) معركة باتنة:

في هذه المعركة انقلبت حياة خالد رأسا على عقب فقد فقد سنّة مجاهدين و كان هو في عداد الجرحى ، فقد اخترقت ذراعه رصاصتان و لم يكن الحال الوحيد إلّا قطع ذراعه ، و ذلك بنقله إلى الحدود التونسية.

"ها هو القدر يطردني من ملجئي الوحيد من الحياة و المعارك الليلية و يخرجني من السّرية إلى الضوء ليضفي أمام ساحة أخرى ليست للموت و ليست للحياة ساحة للألم فقط"¹.

أحس سي الطاهر بالأسف شديد لأنه خسر خيرة رجاله بين الجرحى و القتلى ، شعر خالد باليتم مرة أخرى و قبل سفره إلى تونس جاء إليه سي طاهر ليعطيه ورقة صغيرة كتب عليها عنوان عائلته في تونس و شيئا من الدراهم ، و قال له : " لو قدر لك أن تصل إلى هناك ... أتمنى أن تذهب لزيارتهم حين تشفى و تسلم هذا المبلغ إلى إما لتشتري به هدية للصغيرة ، و أود أيضا أن تسجلها في دار البلدية إذا استطعت ذلك ... فقد يمر وقت طويل قبل أن أتمكن من زيارتهم"².

بعدها أخذ خالد إلى تونس للعلاج، تعلّم الرسم بعدما بترت يده، و بعد الاستقلال انتقل خالد إلى فرنسا، و أقام معرضا في باريس، تلك المرة الأولى التي يعرف فيها خالد على حياة ووقع في حبها.

¹ أحلام مستغانمي – رواية ذاكرة الجسد ص 33.

² المصدر نفسه ص 34.

ج) معرض باريس:

"كان يوم لقائنا يوما للدهشة... لم تكن القدر فيه هو الطرف الثاني ، كان منذ البدء الطرف الأول . أليس هو الذي أتى بها من مدن أخرى ، من زمن آخر و ذاكرة أخرى ، ليجمعنا في قاعة بباريس ن فغي حفل افتتاح معرض الرسم ؟"¹ .

لقد كان هذا المكان شاهدا على التقاء الفتاة التي أحبها من النظرة الأولى ، فلما رآها وجد فيها ذاته و هويته ، " كانت تلك بطاقة تعريفية و أوراق التوثيقية "² .

د) اللباس /الحلى:

إنّ ما يميّز قسنطينة عن باقي الأماكن هو اللباس التقليدي ، و خالد التقى حياة في زيارة المعرض لاحظ على يدها سوار جعله يتذكّر "أمّا" التي لم يفارق معصمها مثل هذا السوار ، " مددت نحوي يدك مصافحةً و قلت بحرارة فاجأتني كنت أريد أن أهنيك على هذا المعرض ... و قبل أن تصلني كلماتك كان نظري قد توقف عند ذلك السوار الذي يزين معصمك العاري الممدود نحوي "³ .

فقد عادت به الذاكرة إلى ثلاثين سنة قد مرّت ، ففي الوقت الذي كان هو يتأمل السوار الذي بيدها ، هي كانت تتأمل ذراعه الناقصة ، "تقاطعت نظراتنا في نصف نظرة ، كنت تتأملين ذراعي الناقصة و أتأمل سوار بيدك " ⁴ ، فمعرض خالد بمثابة لوحة تجسد الجزائر فرسوماتها كلها تحكي عن قسنطينة و عن الجزائر هذا ما شد حياة إليه ، "في الحقيقة ... أنا لا افهم كثيرا في الرسم و لم أزر إلا

¹ احلام مستغانمي – رواية ذاكرة الجسد ص 45.

² المصدر نفسه ص 47.

³ المصدر نفسه ص 47.

⁴ احلام مستغانمي – رواية ذاكرة الجسد ص 47

نادرا معارض فنية ، و لكن يمكنني أن احكم على الأشياء الجميلة و لوحاتك شيء مميز ... كنا في حاجة إلى شيء جديد بنكهة جزائرية معاصرة كهذه " ¹.

عندما نلاحظ بناء الفضاء عند أحلام مستغامي نجدها تعتمد على علاقة الجزء بالكل ، فقسطنطينة تسكن ذاكرة خالد و تأتي بين عينيه عند ما يغرس نظره في نافذة غرفته فتدخل عليه قسنطينة عن طريق الأذان أو الجسور . فحتى و إن أراد خالد التهرب من ماضيه تأتيه أشياء تذكره بقسنطينة الماضي الأليم ، و في نفس الوقت الماضي المليء بالدفء و الوطنية ، و الذي ينتمي إليه ، " و السوار كان ذاكرة لهذا الوطن و تلك المدينة التي تسمى قسنطينة ، و قد تحظر قسنطينة بكل ما تملك من ذاكرة تاريخها، نضالها ، حياتها ، معالمها و حركة الحياة في كل شيء تحظر في فضاء حسي متميز عن طريق هذا السوار " .

فلم تمنع الغربة خالد من أن ينسى وطنه ، فهو حتى و لو عاش في باريس و هو يقابل نهر السين تجد يده ترسم جسر قسنطينة . " كانت عيناى تريان جسر ميرابو و نهر السين و يداى ترسم جسرا آخر وواد آخر لمدينة أخرى ، و عندما انتهيت كنت رسمت قنطرة سيدي راشد و وادي الرمال ... لا غير " ² ، هذه كلها رموز عالقة في مذكرة خالد تبين لنا أن قسنطينة لازالت حية في قلبه لان فيها الوطن و الهوية و الأم.

(ه) اللوحة "حنين":

لوحة "حنين" هي أول لوحة رسمها خالد في مستشفى تونس ، بمساعدة طبيبه ، فتلك اللوحة تمثل قسنطينة ، نلاحظ أن اللوحة الزيتية التي تمثل قسنطينة تحمل في

¹ المصدر نفسه ص 48.

² أحلام مستغامي – رواية ذاكرة الجسد ص 50.

ذهن القارئ امتدادات مكانية أخرى مكوّنة فضاء روائياً نابضا بالحركة و الحياة و الدلالة "1. لوحة حنين كان لها مكان في معرض باريس ، و لها أهمية خاصة عند خالد لأنها كانت لوحته الأولى و تمرينه الأول في الرسم ، فقد مر على رسمها خمس و عشرون سنة بعد بتر ذراعه بشهر و قد كان رسمه للوحة محاولة للخروج من اليأس و نسيان الماضي الأليم الذي عاشه ، " و ها هي حنين لوحتي الأولى و جوار تاريخ رسمها (تونس 57) توقيعي الذي وضعته لأول مرة أسفل اللوحة ، تماما كما وضعته أسفل اسمك ، و تاريخ ميلادك الجديد ذات خريف من عام 1957م ، و أنا أسجلك في دار البلدية لأول مرة "2، و لوحة حنين لها علاقة مع حياة فكلما تأمل في تلك اللوحة يتذكرها لأنها ولدتا في سنة واحدة تكبرها فقط بأيام .

"من منكما طفلاتي ... و من منكما حبيبتي ؟. سؤال لم يخطر على بالي ذلك اليوم، و أنا أراك تقفين أمام تلك اللوحة لأول مرة"3.

و) قسنطينة: "المرأة ، حياة، الأم، الحبيبة:

كان خالد إذا تأمل حياة وجد في ملامحها مدينة قسنطينة نجد ذلك في بداية الفصل الثالث من الرواية ن حين تأخر قدومها إلى المعرض أحسّ شيئاً ما ينقصه ، و عند رؤيته لحياة تدخل المعرض أحس ببهجة تغمره ، فهي ذاكرته ووطنه الذي ابتعد عنه ، "يا ياسمين تفتحت على عجل عطرا اقل حبيبتي ... عطرا اقل ، لم أكن اعرف أن للذاكرة عطرا أيضا .. هو عطر الوطن، مرتبكا جلس الوطن و

1 ابن سائح الاخضر - جماليات المكان القسنطيني - قراءة في رواية ذاكرة الجسد - سلسلة ابحاث مخبر اللغة العربية و ادابها 2013 - ص 71.

2 احلام مستغامي - رواية ذاكرة الجسد ص 57.

3 احلام مستغامي - رواية ذاكرة الجسد ص 58.

قال بخجل: عندك كاس ماء... يعيشك؟¹ ، هنا أحسّ خالد أن قسنطينة تكلمت ، فكل شيء في هذه المرأة يوحى بقسنطينة المدينة الأم الحبيبة ، "و تفجرت قسنطينة ينابيع داخلي ، ارتوي من ذاكرتي سيدتي ...فكل هذا الحنين لك ...و دعي لي مكانا هنا مقابلا لك"² ، سألتها عن أما الزهرة عند حديثهما فقالت له إنها توفيت منذ أربع سنوات ، فقد أثر وفاتها فيهم كثيرا لأنها كانت تمثل الحنان و الأم و الوطن و خالد يرى في المرأة على أنها لغته التي لا يتخلى عنها و هي اللغة العربية ، فحين كانت تكلمه "حياة" بالفرنسية كان ينزعج و يتمنى لو أنها تتكلم باللغة العربية ، "اسمعي ..لن نتحدث معا إلا بالعربية سأغير عاداتك بعد اليوم"³ .

فحياة في هذه الرواية لا تحمل صفة واحدة ، بل تحمل عدّة صفات و عدة ملامح كلها تنتمي إلى مكان واحد هو قسنطينة ، فخالد كان يرى فيها المدينة و المرأة في نفس اللحظة .، "إن حياة لا تحمل صفة المرأة الواحدة بل ملامح كل النساء اللواتي ينتمين إلى مكان واحد أو هي قسنطينة الجزائر ككل ، هذا ما جعل حياة تنتقل بالتدرج من صفة المرأة إلى المدينة "⁴ ، فحين يكلمها خالد يرى فيها ملامح و صفات قسنطينة خاصة و إنها تكتب روايات باللغة العربي هذا ما أثار دهشة خال فيها و زاد إعجابه بها .

"لقد اعتمدت الكاتبة أحلام مستغانمي على أنثوية المكان حين ربطت بين المرأة و المدينة قصد تغيير الدلالة عن طريق كسر النمط المنطقي بالجمع بين الأضداد

¹ المصدر نفسه ص 77.

² المصدر نفسه ص 78.

³ أحلام مستغانمي – رواية ذاكرة الجسد ص83.

⁴ ابن سائح الاخضر – جماليات المكان القسنطيني – قراءة في رواية ذاكرة الجسد –سلسلة ابحاث مخبر اللغة العربية و ادابها 2013 –ص 208.

عند تشكيل الصورة فهذه المرأة تحمل صفات مجسدة في نساء قسنطينة و لذا ليس غريبا أن تكون هي المدينة بحالها ¹.

فوجد حب خالد لقسنطينة مساويا بحبه لحياة كان حبه يزداد يوما بعد يوم ، و يتعلق بها كل يوم ألف مرة ، و إذا رآها يرى ماضيه معها ، من ما يحمل من أفراح و أحزان " .إنني كلما وهبتك شيئا من الماضي حولتك إلى نسخة مني ، و إذا بنا نحمل ذاكرة مشتركة طرقا و أزقة مشتركة ، و أفراحا و أحزانا مشتركة أيضا " ²، يقول بوشوشة بن جمعة في كتابه الرواية النسائية المغاربية : "إن المدينة فضاء يقترن بتجربة المرأة ، الأنثى في بداية عشقها ، فمظاهر معاناتها انتهاء بانكساراتها و هي بذلك تمثل فضاء التجربة و الخيبة ، وبذلك تصبح هي المدينة ، و الوطن و هو ما يجسده نص ذاكرة الجسد الذي تأخذه فيه المرأة شاكلة المدينة قبل أن تتضخم أبعادها فتتخذ شكل الوطن " ³.

فلاحظ أن خالد قد أحب مدينته قسنطينة كامرأة ، وصل به ذلك حد الجنون فقد كان يرى فيها الحبيبة و الأم في نفس الوقت .

" نساء كلهن أنت .

عرفت ذلك بعد فوات الأوان ، بعدما ابتلعتي كما تبتلع المدن المغلقة أولادها .
كنت أشهد تحولك التدريجي إلى مدينة تسكنني منذ الأزل...قسنطينة ، تلبسين تضاريسها ، تسكنين كهوفها و ذاكرتها و مغارتها السرية ، تزورين أولياءها و تتعطين ببخورها ، ترتدين غندورة عنابي من قطيفة في لون ثياب "أما"

¹ المصدر نفسه ص 209.

² احلام مستغانمي - رواية ذاكرة الجسد ص94.

³ بوشوشة بن جمعة - الرواية النسائية المغاربية - منشورات سعيدان - سوسة الجمهورية التونسية ص 225.

تمشين و تعودين على جسورها ، فأكاد أسمع وقع خلخالك الذهبي يرنّ في كهوف الذاكرة .

أكاد ألمح آثار الحناء على كعبي قدميك المهيأتين للأعياد و كنت أنا استعيز لهجتك القديمة معك، كنت ألفظ التاء تساء على الطريقة القسنطينية ...¹

فقسنطينة مدينة لها رابط قوي بالمرأة ، فقد اعتمدت الكاتبة أحلام مستغانمي على المرأة في روايتها لأنها منبع الحنان و الشهوة العارمة .

و نرى بأنّ " المكان الأليف يعيش فيه الإنسان و يموت في المكان نفسه هذا المكان الذي يتميز بالجاذبية كجاذبية جسد أنثى خالقة تلك الأيروسية التي تصل إلى حد الانفعال فالهيجان عن طريق إثارة مشاعر القارئ و المستمع "².

(ح) جسور قسنطينة :

"اكتب إليك من مدينة ما زالت تشبهك و أصبحت أشبها ، مازالت الطيور تعبر هذه الجسور على عجل و أنا أصبحت جسرا آخر معلقا هنا ، لا تحبي الجسور بعد اليوم ..."³

إن الجسور هي رمز من رموز قسنطينة ، و قد ذكر الجسر في عدة صفحات من صفحات رواية ذاكرة الجسد لان خالد كان يعتبره صورة منسوخة عن بلده و كان الجسر أول شيء يرسمه خالد في لوحته الزيتية ، " و الرواية تربط كذلك بين

¹ احلام مستغانمي – رواية ذاكرة الجسد ص131.

² ابن سائح الاخضر – جماليات المكان القسنطيني – قراءة في رواية ذاكرة الجسد –سلسلة ابحاث مخبر اللغة العربية و ادابها 2013 –ص213.

³ احلام مستغانمي – رواية ذاكرة الجسد ص 10.

الجسر و صالح باي لأسباب تاريخية تؤكد أن صالح باي هو الذي أصلحه و قام بترميمه "1.

و قد استطاعت أحلام مستغانمي من خلال روايتها ذاكرة الجسد أن تجعل الجسر دالا على الهوية خالد ن" فقد قدمت الفضاء القسنطيني من خلال الجسر الذي يعتبر مادة مشهديه خصبة و مغرية لما عليه من أبعاد و رموز سياسية و اجتماعية تخص الجزائر في ماضيها و حاضرها و مستقبلها " 2، فالجسر جزء لا يتجزأ من قسنطينة ، و هي كذلك جزء من ذاكرة خالد ، الذي لا يستطيع الاستغناء عنه حتى موته.

و يؤكد صالح مفقودة في مقال له أن المفهوم المركزي للجسر ، " هو ذلك التقاطب الذي نجده بين طرفي الجسر ، أو بين الماضي و الحاضر ، فالجسر يجمع بين المتناقضات على المستوى الأفقي و على المستوى العمودي "3.

إن الجسر مرتبط بالفتاة حياة و مرتبط بخالد فكلاهما يمثلان الوطن ن و من خلال ما سبق يتضح " إن الجسر هي قسنطينة و هي في نفس الوقت حياة التي تمثل أحلام الشهداء ، وأيضا الراوي خالد بن طوبال فهذه العناصر الثلاثة تذوب في المكان نفسه الذي ولدت فيه "4.

قسنطينة هي الهواء الذي يتنفسه خالد ، حياته و فراش طفولته الذي يحن إليه ، فقد كان وحيدا غائبا في بلاد الغربية و يظهر ذلك في الرواية حين يقول : "كدت أصرخ و أنا تذكر فراش طفولتي ، و تلك البطانية الصوفية التي كانت غطائي

1 ابن سائح الاخضر – جماليات المكان القسنطيني – قراءة في رواية ذاكرة الجسد – سلسلة ابحاث مخبر اللغة العربية و ادابها 2013 – ص124.

2 المصدر نفسه ص 125.

3 المصدر نفسه ص 128.

4 المصدر نفسه ص 131.

في مواسم البرد القسطنطيني ، كدت اصرخ في ليل غربتي ...دثريني قسنطينة ...دثريني"¹. فالجسر مرتبط بحبيبته حياة و هي تمثل مستقبله و حاضره ، و إذا تأملنا ما سبق نجد أن الجسر "سوى شبحة البعيد و يختفي كل شيء حوله و هي الحالة التي تنطبق على وضع البلاد غداة 1988م و هي إشارة إلى المستقبل الغامض و المنعطف الخطير الذي آلت إليه"²، فالجسر معلق كمستقبله لا يعرف ماذا سيحدث له في طريقه إلى القادم ، كذلك بالنسبة للمستقبل الجزائري الغير معلوم ،" و الشيء المعلق ماله السقوط لا محالة خاصة إذا افتقر إلى الأعمدة التي تحم له مثلما هو الجسر معادلا للجزائر في هذه الرواية فمستقبله غامض كغموض هذا الجسر ."

2) المكان و الزمن في الرواية:

للمكان علاقة كبيرة بالزمن ، فل يستطيع كلاهما الاستغناء عن الآخر في الرواية ،والمكان الذي وجدناه في الرواية هو مكان مرتبط بالذاكرة ، و ما تحمله الذاكرة هو من الماضي ، و الرواية من أولها إلى آخرها زمنها هو الماضي ، و المستقبل المجهول . فما هو تعريف الزمن ؟

إن مفهوم الزمن من الناحية الغوية واسع و متعدد و نجد معناه في المعجم الوسيط :- "زَمِنَ: زَمِنَا ، و زُمْنَةٌ: مَرَضٌ مَرَضًا يَدُومُ زَمَانًا طَوِيلًا ، و ضعف بكبر السن أو مطاولة علة فهو زَمِنٌ و زمين .

أزمن بالمكان : أقام به زمانا ، و الشيء : طال عليه الزمن يقال مرض مزمن ، و علة مزمنة ، و يقال : أزمن عنه عطاؤه: أبطأ و طال زمنه.

¹ احلام مستغانمي – رواية ذاكرة الجسد ص 56.

² ابن سائح الاخضر – جماليات المكان القسنطيني – قراءة في رواية ذاكرة الجسد –سلسلة ابحاث مخبر اللغة العربية و ادابها 2013 –ص127.

زمنه: مزامنة و زمانا: عامله بالزمن.

الزمان : الوقت قليله و كثيره ، و مدة الدنيا كلها ، و يقال السنة أربعة أزمنة :

اقسام او فصول .ج أزمنة و أزمنة¹.....

فالزمن محور حياة الإنسان ، لان حياته مبنية على الحاضر و الماضي و المستقبل ، و الزمن يسير متسلسلا وفق الأحداث ، و نجد ذلك واضحا في الرواية " كما ارتبط الزمن بالرواية في علاقة مزدوجة لان النص الروائي يشكل في جوهره بؤرة زمنية تنطلق في اتجاهات عدة "².

فالزمن عنصر أساسي في العمل الروائي ، فلا يمكن تصور رواية أو قصة خيالية من الزمن ، "كل خطاب روائي يأتي بالزمن لأنه يشمل الحياة التي يعيشها الشخص داخل العمل الروائي ، كما أن تنوعه و تشكله من الزمن الطبيعي ، و الزمن التاريخي و الزمن الحكائي ، و زمن الكتابة و زمن القراءة هو الذي يدفعنا إلى صياغة الأشكال كالأتي³ :

فالحديث الروائي يتسم بالزمنية و نجد في رواية ذاكرة الجسد ان الراوي خالد بن طوبال يروي لنا ما حدث له أثناء الثورة و هو بصحبة المجاهدين سنة 1945م ، ثم تحدث عن وفاة سي الطاهر سنة 1960م ، فأثناء قراءتنا للرواية نجد زمن الأحداث يذهب إلى الماضي ثم يرجع للحاضر ، أي أن الرواية ليس لها زمن محدود من أولها إلى آخرها ، فالزمن في الرواية له أهمية كبيرة نجد و كأنه شخصية من شخصيات الرواية ، " و لقد رأى تودوروف أن في الرواية نوعين

¹ المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – الادارة العامة للمعجمات و احياء التراث – ط4-2004م- 1465هـ – ص 401.

² د- مها حسن القصر اوي – الزمن في الرواية العربية – www.albayan-ae - 25 jun 2005

³ احمد حفيدي – جماليات الزمن في رواية فوضى الاشياء لرشيد بوجدره – www.benhedouga.com

من الأزمنة : أزمنة داخلية و أزمنة خارجية ، و كل منهما يشمل أنواعا من الأزمنة.

أ) الأزمنة الخارجية:

و هي "زمن السرد" وهو زمن تاريخي و زمن الكاتب و هو الظروف التي كتب فيها الروائي¹ ، كما وجدنا في رواية ذاكرة الجسد الروائية أحلام مستغانمي كانت لها ظروف قاسية حين كتبت روايتها و كأنها عايشة تلك المرحلة مع خالد ، و زمن القارئ و هو "زمن استقبال المسرود حيث تعيد القراءة بناء النص و ترتب أحداثه و أشخاصه و تختلف استجابة القارئ من زمان إلى زمان و من مكان إلى مكان"².

ب) الأزمنة الداخلية :

و تتمثل في زمن لنص "وهو الزمن الدلالي الخاص بالعالم التخيلي ، و يتعلق بالفترة التي تجري فيها أحداث الرواية"³ ، و قد وجدنا ذلك حينما كان يسرد خالد قصته ، من فترة دخوله السجن إلى التحاقه بالجيش و الثورة ، ثم إلى تونس و إلى فرنسا ، ثم عاد إلى الجزائر ، فهو يذكر الفترة تلو الأخرى ، فنجد أن في كل نهاية جزء تحيلنا تلك النهاية إلى بداية جديدة و زمن جديد ، فنجد زمن الرواية زمتا تاريخيا لأنه يمثل مرحلة خالد ما قبل مجيئه إلى فرنسا و عودته إلى الوطن و بين هذا و ذاك حدث الكثير من الأحداث و ذكرت الكثير من الأزمنة

¹ تقنيات الزمن السردي في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي للدكتور حاكمي لخضر-مجلة أصوات الشمال – www.aswat el chamal.com

² المصدر نفسه .

³ تقنيات الزمن السردي في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي للدكتور حاكمي لخضر-مجلة أصوات الشمال – www.aswat el chamal.com

نجد ذلك في الرواية زمنا سمي بزمن الاسترجاع ، و نعني بزمن الاسترجاع هو عودة السارد إلى الوراء لاسترجاع ماضيه و أحداثه .

و قد اعتمدت الكاتبة أحلام مستغانمي في رواية ذاكرة الجسد على تقنية الاسترجاع ، فقد لجأ الراوي إلى الماضي الذي كان يحمل في طياته شيء من الحنية و مخزون عاطفي راسخ في ذاكرته فمنها ما كان مفرح و منها ما كان محزن و كئيب .

3) المكان و الشخصيات:

إن اختيار الشخصيات في الرواية شيء مهم ، لأنها تمثل واجهة الرواية ، و قد عرف محمد العباس الشخصية في مقال له قائلا: " تحتل الشخصية مكانة مهمة في بنية الشكل الروائي ، فهي من الجانب الموضوعي أداة ووسيلة الروائي للتعبير عن رؤيته و هي من الواجهة الفنية بمثابة الطاقة الدافعة التي تحلق حولها كل عناصر السرد"¹.

و نجد نوعين من الشخصية ، الشخصية الرئيسية و الشخصية الثانوية ، فالشخصية الرئيسية نجدها حاضرة من بداية العمل إلى آخره و لها أهمية كبيرة كما هو الحال في رواية ذاكرة الجسد ، فشخصية خالد شخصية رئيسية ، و كلما تطورت الأحداث في الرواية زادت الشخصية الرئيسية ظهورا و تفاعلا ، "فالبيئة الموصوفة تأثر على الشخصية و تحفزها على القيام بالأحداث و تدفع بها إلى الفعل ، حتى انه يمكن القول بان وصف البيئة هو وصف مستقبل الشخصية " ²، فإذا جمعنا شخصيات الرواية ذاكرة الجسد وجدناها تنحصر في دائرة صغيرة ،

¹ محمد العباس – الشخصية و محلها في الرواية – 28 avr 2016 - thaqafat.com

² حسن البحراوي – بنية الشكل الروائي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب ط2009 ص 30.

خالد بن طوبال – حياة – سي الطاهر عبد المولى – حسان – سي الشريف و
ابنته – زوج حياة – سي مصطفى .

و شخصية خالد أثرت في الرواية كثيرا لما عاشه من الم و حزن طيلة حياته
فذاكرته كانت في ذراعه المبتورة ، و كلما نظر إلى ذراعه يتذكر الماضي و
كيف قضى أيامه مع المجاهدين في الثورة و مع قائده سي الطاهر .

فقد كانت حياة خالد مليئة بالدموع و فقدان الأحباء ، فمنذ أن فتح عينيه في هذه
الدنيا و هو وحيد، تركته أمه يتيما ثم سي الطاهر الذي استشهد و أحس بالغرابة
من ورائه ، ثم بترت ذراعه و استشهد اعز صديق عند – زياد- و اكبر مصيبة
وقعت عندما تركته حياة و تزوجت من رجل آخر ، فقد اثر فيه ذلك الأمر كثيرا
، لأنه أحبها بجنون ، ثم قُتل أخوه حسان و عاش خالد وحيدا يائسا ، لذا كانت
شخصيته شخصية مفعمة بالحب الصادق للوطن الذي ضحى من اجله و أهده
ذراعه اليسرى عربونا لربه له في معركة ضد العدو ، و شخصية خالد هي
شخصية بُنيت على الإسترجاعية ، فهو يعود كثيرا إلى ماضيه ، "هناك شيء ما
استفز الماضي كله ليعود كله إلى سطح حياة خالد و يطفو بتفاصيله ممتزجا مع
الحاضر ، الحاضر في الحقيقة حالة استرجاع ليس أكثر ، و الماضي هو كل ما
قيل في الرواية"¹ ،

وخالد كثيرا ما تجد على لسانه لفظة اليتيم فقد عاش يتيما طول حياته لا ام و لا
حبيبة كانت حبيبته هي قسنطينة و لكن كان بعيدا عليها ، " و كنت يتيما ، و كنت
أعي ذلك بعمق في كل لحظة فالجوع الى الحنان ، شعور مخيف يظل ينحر فيك

¹ فظيلة ملكمي – بنية النص الروائي عند الكاتبة الجزائرية – رسالة ماجستير – إشراف عمار زعموش
– جامعة منتوري قسنطينة -2000-2001 ص 212.

من الداخل و يلزمك حتى يأتي عليك بطريقة أو بأخرى " ¹ ، و نجده من ناحية أخرى في حياته التي عاشها بباريس رجلا ذا حرية مطلقة بعيدا عن الدين كل البعد ، رجلا كان على علاقة غير شرعية مع كاترين المرأة الفرنسية ، و لكن بعد التقائه بحياة أحس نفه مقصرا و عاد إلى دينه و ابتعد عن كل ما هو محرم .

و إذا تحدثنا عن شخصية حياة نجدها حاضرة كذلك من أول الرواية إلى آخرها و حاضرة في ذاكرة خالد منذ أن رآها و هي طفلة سنة 1957م "ها هي حنين لوحتي الأولى ، و جوار تاريخ رسمها تونس 57 توقيعي الذي وضعته لأول مرة أسفل اللوحة تماما كما وضعته أسفل اسمك ، و تاريخ ميلادك الجديد ، ذات خريف من سنة 1957م ، و أنا أسجلك في دار البلدية لأول مرة ..."²

فقد بدأت قصة عشقهما في معرض الرسم في باريس إذ كان خالد يصفها كثيرا و يتغزل بها ، فجمالها جعله يهيم بها ، و قد وجد فيها ذاكرته القديمة ، وجد فيها مدينته قسنطينة ، وهي وجدت فيه حنان والدها سي الطاهر ، و دفء حضنه.

أما بالنسبة للشخصيات الثانوية :

سي الطاهر عبد المولى مجاهد شارك في الثورة و سجن مع خالد ، و كان قريبا منه حتى استشهد .

زياد صديق خالد ، الرجل الذي أعجبت به حياة يعيش في لبنان و بعدها استشهد ، " فقد كان شاعرا يمتلك رصيذا ثريا من القصائد ، و قد مات كما أراد شهيدا و

¹ احلام مستغامي - رواية ذاكرة الجسد ص 27.

² احلام مستغامي - رواية ذاكرة الجسد ص 64.

شاعرا"، يقول خالد عنه: "لقد مات شاعرا كما أراد ... ذات صيف كما أراد ... مقاتلا في معركة كما أراد أيضا"¹

حسان اخو خالد عاش اليتيم منذ صغره و كان متعلقا بخالد ، فحسان يعيش عيشة بسيطة هو و عائلته المتكونة من زوجته و ستة أطفال ، كانت أحلامهم بسيطة جدا هو الذراع الأيمن لخالد ، "فحسان الشخصية التي تمثل نموذج للإنسان الجزائري البسيط ، الذي يتطلع للعيش بكرامة في ظل الأوضاع لا تسمح بذلك"² و لكن شاءت الأقدار أن يتركه حسان ، مات مقتولا ، "و مات حسان أخي الذي لم يكن يهتم كثيرا بالإغريق ، و بالآلهة اليونانية كان له اله واحد فقط و بعض الاسطوانات القديمة ، مات ، مات و لا حب له سوا الفرقاني و أم كلثوم ، و صوت عبد الباسط عبد الصمد"³.

سي الشريف هو إحدى الشخصيات الثانوية أخ سي الطاهر و صديق خالد ، و كان يرى فيه مدينته قسنطينة ، و يرى فيه صورة سي الطاهر ، فكان ذاكرته بماضيها و أمجادها ، "كنت أحب سي الشريف كان فيه شيء من هيبة قسنطينة و حضورها نشئ من الجزائر العريقة ، و ذاكرته شيء من سي الطاهر من صوته و طلته"⁴.

ناصر ابن سي الطاهر و اخو حياة لم يظهر كثيرا في الرواية "فهو شخصية متمسكة بأرضها و وطنها فهو رافض بان يتخذ المنفى حضنه الدافئ بدل وطنه

¹ المصدر نفسه ص 220.

² فلة قارة و ليندة لكحل – بناء الشخصية و المكان في رواية ذكرة الجسد – مذكرة ماستر – اشراف يحي الشيخ صالح – ماي 2011 ص 52.

³ أحلام مستغانمي – رواية ذكرة الجسد ص 340.

⁴ المصدر نفسه ص 232.

الأم " ¹، و كان ناصر معارض زواج أخته حياة فهو يلجأ إلى الصلاة عندما يتضايق و متمسك بدينه.

لقد لاحظنا من خلال ما سبق أن الروائية أحلام مستغانمي انتقت الشخصيات بطريقة جيدة و وضعت كل شخصية في مكانها الخاص بها ، فنجد الشخصيات الرئيسية حاضرة بقوة مثل خالد و حياة فعند قراءتك للرواية تحس نفسك و كأنك تعيش الدور و رأينا نجاحا التي حصده في مسلسل ذاكرة الجسد فالشخصيات أثرت في المشاهد كثيرا لذا نجحت أحلام مستغانمي و نالت جائزة نجيب محفوظ على هذا العمل .

¹ فلة قارة و ليندة لكحل – بناء الشخصية و المكان في رواية ذاكرة الجسد – مذكرة ماستر – اشراف يحي الشيخ صالح –ماي 2011 ص54.

الأختام

الحمد لله الذي بنعمته أنهيت هذا البحث المتواضع في مسار " دلالة المكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي " ، هذه الخاتمة هي آخر جزئية اختتم بها هذه المرحلة ، و سأرصد أهم النتائج التي توصلت إليها و التي تتلخص فيما يلي :

- 1) للمكان أهمية كبيرة في الرواية و يعد ركيزة الأساسية لها كونه عصر مهم من العناصر الفنية التي تبنى عليها الرواية.
- 2) أي عمل أدبي خالي من المكانية فهو خال من الخصوصية و الأصالة .
- 3) اعتنت الروائية أحلام مستغانمي في روايتها ذاكرة الجسد بمصطلح المكان فقد اهتمت به منذ بداية الرواية إلى آخرها .
- 4) تنوع الأحداث و تعدد الأماكن ساهم في إثراء دلالة النص الروائي.
- 5) إن مصطلح المكان مصطلح متشعب وملازم للرواية و لا يمكن تصور رواية دون مكان.
- 6) لعبت الشخصيات دورا هاما في رواية ذاكرة الجسد إذ كان لها علاقة وطيدة بالمكان فكل شخصية يتبعها مكان و المكان تتبعه ذكرياته .
- 7) كذلك كان للزمن دوره في الرواية ، فمنذ بداية الرواية اعتمدت أحلام على الزمن الماضي و الحاضر و المستقبل في نفس الوقت .
- 8) يضيف التكرار جمالا للنص الروائي و قد اعتمدت عليه أحلام مستغانمي في روايتها ذاكرة الجسد إذ تكرر في النص كلمة ذاكرة

و تكررت كلمة قسنطينة و هي المدينة التي تتحدث عنها الرواية ،
و التكرار كما هو متعارف يعتمد عليه الكتاب أو الشعراء لتأكيد
كلامهم و تثبيته ، و هذا ما أرادت أحلام مستغانمي الوصول إليه.
(9)رواية ذاكرة الجسد هي رواية احتلت الصدارة في الوطن العربي،
فهي رواية اختصرت تاريخ الجزائر العريق ، بحزنه ووجعه ، و
نالت بذلك العديد من الجوائز .

(10) إن الروائية أحلام مستغانمي من أهم الروائيات الجزائريات
اللاتي استطعن إثبات هويتهم و جدارتهم ، فقد كان لرواياتها مكانة
خاصة في الجزائر و الوطن العربي .

و في الأخير نأمل أن يكون هذا البحث قد أضاف و لو القليل إلى
الدراسات السابقة في مجال الفنون الأدبية الروائية أ و أرجو من
خلاله أن يمهد الطريق لبحوث أخرى ، فكما يقال النهاية ما هي إلا
بداية لبحث في طريق الانجاز ، و أسأل الله التوفيق فيما أردت و
تحقيق ما نويت ، و الله على كل شئ قدير .

قائمة المصادر و المراجع

أ) المصادر:

1. أحلام مستغانمي ، رواية ذاكرة الجسد ، دار نوفل ، دمغة الأثير هاشيت أنطوان ، بيروت لبنان ، عام 2013.

ب) المراجع:

1. ابن سائح الأخضر ، جماليات المكان القسنطيني ، قراءة في ذاكرة الجسد ، دار اللواء 2013.
2. أحمد طالب ، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2001.
3. إدريس بوديبة ، الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري قسنطينة ، ط1 ، 2000.
4. بوشوشة بن جمعة ، الرواية النسائية المغاربية ، منشورات سعيدان ، سوسة الجمهورية التونسية. 1996.
5. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، بيروت لبنان، ط 1994.
6. حسن البحراوي ، بنية الشكل السردي ، الفضاء الزمن الشخصية ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب (ط2)، 2009.
7. زهرة ديك، أحلام مستغانمي هكذا تكلمت هكذا كتبت ، دار الهدى ، 2013.

8. عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، عالم المعرفة ، شعبان 1998.
9. عزوز اسماعيل ، شعرية القضاء للروائي عند جمال الغيطاني ، ط2010، دار العين للنشر القاهرة ، مصر.
10. محمد عبد الرحمن، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاجتماعية، ديوان المطبوعات ،الجزائر ط1987.
11. محمد علي عبد المعطي ، قضايا الفلسفة العامة و مباحثها ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ط2، 1984.
12. ياسين النصير ، الرواية و المكان ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، سنة. 1986
13. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ط5، القاهرة دار المعارف 1986.
- المترجمة:
14. جاستون باشلار، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، ط1984.2 المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان .
15. جماعة من المؤلفين، الفضاء الروائي ، ترجمة عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق ،الدار البيضاء، 2002.

المعاجم و القواميس:

أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة و النشر
بيروت ، لبنان ، ط 1 ، مجلد 14.

المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات و إحياء التراث
، ط 4 ، 2004م - 1465هـ .

المنجد في اللغة و الأعلام ، الطبعة المئوية الأولى ، 2008 ، دار المشرق بيروت لبنان .

المجلات:

مجلة تشرين جامعة الدراسات و البحوث العلمية ، سلسلة الآداب و العلوم الإنسانية ،
مج 27 ، عدد 1 ، 2005 .

مجلة الأثر " الآداب و اللغات " ، جامعة ورقلة الجزائر ، العدد الرابع ، ماي 2005 .

الرسائل الجامعية:

فضيلة ملكمي ، بنية النص الروائي عند الكاتبة الجزائرية ، رسالة ماجستير ، إشراف
عمار زعموش ، جامعة المنتوري قسنطينة ، 2001/2000 .

فلة قارة و ليندة لكحل ، بناء الشخصية و المكان في رواية ذاكرة الجسد ، مذكرة ماستر
، إشراف يحي الشيخ صالح ، ماي 2011 .

المواقع الالكترونية:

<http://www.almany.com>

<http://www.almougem.com>

<http://www.wikipedia.org>

<http://mawdoo3.com>

<http://weziwezi.com>

<http://azehera.net>

<http://alriwaya.net>

<http://www.matar.com>

<http://www.startimes.com>

<http://www.nizwa.com>

<http://www.benhedouga.com>

<http://www.aswat> el chamal.com

<http://www.albayane.com>

<http://www.thaqafat.com>

الفهرس

- مقدمة..... (أ - هـ)
- مدخل : نشأت الرواية الجزائرية و تطورها (8 - 1)
- الفصل الأول: مفهوم المكان و مصطلحاته (21 - 10)
1. تعريف المكان (10)
2. تعريف الفضاء و وظائفه (14)
3. علاقة المكان بالرواية (18)
- الفصل الثاني : التعريف بالروائية أحلام مستغانمي و أهم أعمالها (35- 23)
1. التعريف بالروائية أحلام مستغانمي (23)
2. مؤلفاتها..... (25)
3. ذاكرة الجسد قراءة في عنوان..... (27)
- الفصل الثالث: دلالة المكان في رواية ذاكرة الجسد..... (55 - 37)
1. المكان و الأحداث في الرواية..... (37)
- أ) سجن الكديا (38)
- ب) معركة باتنة (40)
- ت) معرض باريس (41)
- ث) اللباس \ الحلوى (41)
- ج) اللوحة حنين (43)
- ح) قسنطينة "المرأة، حياة، الأم، الحبيبة" (44)
- خ) جسور قسنطينة (46)
2. المكان و الزمن في الرواية (48)

- (50).....(أ)الأزمة الخارجية
- (50).....(ب) الأزمة الداخلية
- (51) 3. المكان و الشخصيات
- (57) خاتمة
- (60) قائمة المصادر و المراجع
- (65).....الفهرس

ملخص:

يعتبر المكان رمزا للاستقرار والانتماء والوجود والثبات، وله علاقة وثيقة بالنص الروائي وذلك ما يجعله أكثر حيوية وجمالا، إذ لا يمكن التخلي عنه في الرواية كونه الأساس الذي يتكون منه النص الروائي، الشيء الذي لمسناه في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي. هدفنا هو كشف أهمية المكان وكيفية توظيفه في الرواية، فقد خصصت الفصل الأول لمفهوم المكان والفضاء ودورهما في الرواية، ثم الفصل الثاني للحديث عن شخصية أحلام مستغانمي وأهم أعمالها، ونظرا لطبيعة الدراسة فقد خصصت الفصل الثالث للحديث عن دلالة المكان في الرواية مبينة علاقته بالعناصر الروائية، الشخصية، الزمن والأحداث، وخلصت في الأخير إلى جملة من النتائج التي استخرجتها من الدراسة.

الملخص بالفرنسية :

L'endroit est considéré comme un symbole de stabilité, d'appartenance et de la présence, et il a une relation étroite avec le texte romancier, et qui le rend plus dynamique et plus beau, de ce fait on ne peut l'omettre du roman car il est la base qui forme le roman, la chose que nous avons sentie dans la mémoire de la chair de Ahlem Mosteghanemi. Notre objectif de reveler l'importance du lieu et sont utilisation dans le roman, J'ais consacre le premier chapitre au concept du lieu et de l'espace et leur utilisation dans le roman, Puis dans le second chapitre j'ais aborder la personnalité de Ahlem Mosteghanemi et ces œuvres les plus important, et vue la nature de l'études j'ais consacre la troisième partie à la signification de l'endroit dans le roman en indiquant la relation avec Les éléments du récit, personnalité, le temps et les événements, et ont conclu avec les résultats tire de cette études.

الملخص بالانجليزية:

The place is a symbol of stability, belonging, existence. It has a close relationship with the narrative essay, which makes it more dynamic and nice to read. It cannot be omitted in the novel because is the basis of the narrative text, which we found in the novel of the memory in the flesh of Ahlem Mosteghanemi. Our target is to reveal the importance of the place and it use in the novel, the first chapter is dedicated to the concept of space and place and their role in the novel, than the second chapter I will talk about the personality of Ahlem Mosteghanemi and her most important work, and regarding the nature of the study I will dedicate the third chapter for the significance of the place in the novel showing his relationship with The elements of narrative, personal, time and events, than i will conclude with the results which I get from this study.